٢

شرح
فضل الإسلام

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ

عبد الله بن صالح بن محمد القصير

حفظه الله

النسخة الأولى

شرح

فضل الإسلام

٢

شرح

فضل الإسلام

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ

عبد الله بن صالح بن محمد القصير

حفظه الله

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأول

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – في كتاب «**فضل الإسلام**»:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين.

باب فضل الإسلام

وقول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣].

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد قال الإمام المجدد المُصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي جَدَّد الله به الدعوة النبوية في الجزيرة العربية وما حولها، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وما بعده – رحمه الله تعالى –: **باب فضل الإسلام**.

أراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن يُبين في هذا الكتاب المبارك بيان فضائل الإسلام وخصائصه، وإنعام الله عَزَّ وَجَلَّ به على هذه الأمة، وبيان فضل منهاج أهل السنة والجماعة، وأنهم على مقتضى الكتاب والسنة بفَهْمِ السلف الصالح من الأمة، وبذلك تَمَيَّزوا من بين فِرَق

الأمة، وتبين أنهم هم الطائفة المنصورة بالحق، التي لا يَضُرُّها من خذلها ولا من خالفها، حتى يأتي الله بأَمْرِه.

فهم الطائفة الناجية من الفِتن في الدنيا والعذاب في الآخرة، وهم المنصورون في الدنيا والآخرة؛ لاتباعهم نَهْج أفضل المرسلين ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات ١٧١-١٧٣].

وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي الله بأمره**».

وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**ستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

فثنتان وسبعون فرقةً من هذه الأمة مُتَعَرِّضَةٌ للوعيد، بين الكُفْر والابتداع والفسوق، وطائفةٌ واحدةٌ هي الناجية المنصورة، جعلنا الله وإياكم منهم.

والإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وهذا هو دين الله ﷻ الذي بَعَثَ به جميعَ رُسُله - عليهم الصلاة والسلام -، وأنزل به جميع كُتُبه، وتَعَبَّد به عِبادَه.

وأما إذا أُريد الإسلام الخاص بهذه الأمة، فهو هذا التعريف مع إضافة قيد: وهو اتباع النبي ﷺ على شريعته.

فإسلام هذه الأمة هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، واتباع النبي محمدٍ ﷺ على شريعته.

فإنه ﷺ هو خاتم النبيين، وأشرف المرسلين، الذي بعثه الله ﷻ بأشرف وأكمل دين، ولا يقبل الله ﷻ دينًا سواه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وسُمِّي دينُ الإسلام دينًا وتوحيدًا في جميع خصائصه، توحيدٌ لله ﷻ، فإن مَبْنَاهُ على أن الله -تعَالَى- واحدٌ في ربوبيته ومُلْكِهِ لا شريك له، وواحدٌ في أسمائه لا سَمِيَّ له، وفي صفاته وأفعاله لا مِثْلَ له، وواحدٌ في إِلَهِيَّتِهِ وعبادته لا نِدَ له، وواحدٌ في جميع خصائصه فلا كُفُؤَ له.

وقد أنزل الله -جَلَّ وَعَلَا- هذه الآية الكريمة المُحْكَمة على عشية يوم عرفة، بين الظهر والعصر يوم عرفة، في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، في أفضل جَمْعٍ حَضَرَهُ النبي ﷺ، فامْتَنَّ الله ﷻ عليهم بإكمال الدين، وإتمام النعمة، ورَضِاه لهم الإسلام دينًا.

قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة:٣]، في هذا أَنَّ الدين كاملٌ في تشريعه، وبَلَاغِهِ، وبَيَانِهِ، والعمل به؛ كَمَّلَهُ الله ﷻ، وعَمِلَ به الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ مُتأَسِّين بالنبي ﷺ وهو بين ظهرانيهم، فما وافقوا فيه الحق أُقِرُّوا عليه، وما خَالَفُوا فيه نُبِّهُوا عليه، وبُيِّنَ لهم وجهُ الصواب فيه، فعبدوا الله ﷻ بما شَرَعَ، على الوجه الذي أرضاه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فرَضِيَ عنهم.

فإذًا الدين كاملٌ لا يحتاج إلى زيادةٍ، وعلى قَدْرِ الوظيفة التي تعَبَّدَ الله ﷻ به عباده، فلا يحتاج على نقصانٍ، وبُلِّغَ بتمامه، وبُيِّنَ في جميع شرائعه.

ولذلك النبي ﷺ لَمَّا خطب الناس في تلك الحجة، قال: «**أيها الناس، إنه يوشك أن يأتيني رسول ربي فأُجِيب، وإنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون**؟» فقالوا: نشهد أنك قد بَلَّغْتَ، ونصحت، وأَدَّيْتَ، فقال: «**اللهم اشهد عليهم**»، رفع إصبعه إلى السماء، وأشار على عُلُوِّ الله

-جَلَّ وَعَلَا-، ثم نكتها عليهم، قال: «**اللهم اشهد عليهم**»، فإنهم أقروا بأداء النبي ﷺ لمُهمته، وتبليغه جميع رسالاته التي أرسله الله بها.

قال أحد اليهود: لو نزلت علينا هذه الآية معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال عمر: أجل؛ إني أعلم اليوم الذي نزلت فيه، والوقت الذي نزلت فيه، وأَخْبَرَ أنها نزلت يوم عرفة، عشية يوم عرفة، لكننا لا نَبْتَدِعُ كاليهود والنصارى في ديننا.

نحمد الله عَزَّوَجَلَّ على فضله، ونَشكره على إنعامه، ونستعين به على القيام بحقه، ونُجاهد أنفسنا على الإخلاص له، وعلى حُسْن الإتباع لنبيه ﷺ، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ الثبات على صالح العمل، والعصمة من الزَّلل في الاعتقاد والقول والخلق والعمل، هذا منهاجه الحق.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣]، يعني بكمال الدين تمَّتِ النعمة.

كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة ٢-٤].

فالله -تَعَالَى- تَفَضَّل على أول هذه الأمة وآخرها ووَسَطِها، بإرسال الرسول ﷺ، وكَمَال بَلَاغِه وبيانه، وكمال تشريع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده، ووضوح الحق، والعمل به على الوجه الذي أرضى الله عَزَّوَجَلَّ، والنبي ﷺ حيٌّ بين ظهراني الأمة، ووَرِثَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذلك عن النبي ﷺ، وتلقاه التابعون رَحِمَهُمُ اللَّهُ عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وتلقاه تابعوا التابعين عن

التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وتلقاه أئمة الهدى من بعدهم عن تابعي التابعين، وهكذا تناقله أئمة الإسلام وفقهاء الملة، قرنًا بعد قرنٍ، وجيلًا بعد جيلٍ، على اختلاف الزمان والمكان، حتى وصل إليها غضًّا طريًّا، ولله الحمد. **نعم**.

وقوله -تَعَالَى-: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس:١٠٤] الآية.

الشرح:

وفي هذا بيان أن أساس الدين، وقاعدة الملة والشريعة: التوحيد، توحيد الله ﷻ بربوبيته، وأفعاله، وبأسمائه، وصفات كماله، وتَنَزُّهه عن النقائص والعيوب ومباينة مخلوقاته، وإِلَهِيَّتِه وعبادته، والإخلاص له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بما شَرَع، واتِّباع نبيه ﷺ الذي أرسله الله -تعالَى- لِيُطاع ويُتَّبع، والبراءة من أهل الكفر والشرك والأهواء والبدع، هذا أصل الدين، هذا قاعدة الدين. **نعم**.

وفي هذا أيضًا: أن مَنْ مَنَّ الله ﷻ عليه بالحق، واتِّباع أهل السنة والجماعة على مِنهاجهم الحق، ينبغي لهم أن يكون شجاعًا واضحًا وصريحًا، أُسْوَةً بالنبي ﷺ؛ لأن الله -تعالَى- أَمَرَهُ أن يكون كذلك، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي ﴾ ، افهموا، واعقلوا، ﴿ فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، ما أعبد الآلهة الباطلة، ولكن أعبد الإله الحق، ﴿ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ، وأمرت كذلك أن أُقيم الدين، ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يونس:١٠٥] ، يعني بَايِن المشركين، وفارقهم، وأَظْهِر توحيدك، وعِبْ ما هم عليه، ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس:١٠٦] أحدًا يعني كائنًا من كان، فإن كل مَدْعُوٍّ من دون الله فدعوته باطلة، فدعوة الله هي الحق، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢].

قال إبراهيم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨ - ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] ، فقومه كانوا يعبدون الله وكانوا يعبدون معه غيره، فتبرأ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من المعبودين من دون الله، وأعلن توحيده لله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة.

قال تعالى: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

فهذا مَبْنَى الدين؛ على التوحيد، على الصراحة والوضوح: أن تعبد الله وحده، وأن تعبده بما شَرَع، وأن تَبْرَأ من عبادة مَنْ دُونه، تبرأ من الشرك والمشركين، ومن أهل الأهواء، ومن البدع. **نعم**.

قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد:٢٨].

الشرح:

وهذا فيه: بيان فضل الاستقامة على الدين الحق، على الإيمان بالله ورسوله، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي مَنْ كان كذلك مقدارين من رحمته، ويغفر له، ويُؤته من فضله، والله هو الغفور الرحيم.

فالمؤمن المُوَحِّد مَهْدِيٌّ ومُوَفَّقٌ ومُسددٌ ومُعانٌ، تفتح له أبواب الخير، وتُغَلَّق عنه أبواب الشر، ويُعصم من الفتن، ويُهدى إلى الحق فيم اختلف فيه الناس؛ لأنه متعلقٌ بالله عَزَّ وَجَلَّ في جميع أحواله، في تضرعه ودعائه، في أقواله وأفعاله وأعماله، فلذلك يتولاه الله عَزَّ وَجَلَّ بعنايته، ويكلؤه بحفظه، ويسدده. **نعم**.

وفي الصحيح عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أهل الكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ العَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: «هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَذَلِكَ، فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

الشرح:

وهذا فيه بيان فضل الله عَزَّوَجَلَّ على هذه الأمة، وتفضيله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لها على الأمم، ومن ذلك أنه لما اقتضت حكمته قِصَر أعمار الأمة، عَوَّضهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عِظم الأجر، فيعطيهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كرمًا منه الأجر الكبير على العمل اليسير، والوقت القليل، فهذا من فضل الله -جَلَّ وَعَلَا- على الأمة.

ومن ذلك مثلًا: أنه في رمضان ليلة القدر خير من ألف شهر، يعني العمل في ليلة القدر في رمضان خيرٌ من العمل في ألف شهرٍ، قُدِّرَت ألف شهر بثلاث وثمانين سنة، فإذا عاش المسلم عشرين سنةً مثلًا في الإسلام، اضرب عشرين في ثلاثة وثمانين، كل رمضان يُدْرِك ليلة القدر ولا بُدَّ، فيكون عمله في هذه المدة التي هي عشرين يُقابل عُمْرَ المُعَمَّر من الأمم الماضية ما يزيد عن السبعمائة سنة.

ومن ذلك: أنه في رمضان يُضَاعَفُ العمل، ويُضاعف الثواب فضلًا من الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن ذلك: ما قَدَّرَهُ الله من المواسم: مثل ست شوال، ومثل العشر من ذي الحجة، ومثل العشر الأُول من محرم، ومثل الاثنين والخميس، وغير ذلك من المواسم الذي يَفْضُل فيها العمل، ويعظم الأجر فضلًا من الله عَزَّوَجَلَّ.

فلذلك النبي ﷺ ضرب مثلًا يُوضح هذا، ليغتبط المؤمنون بفضل الله، وليفرحوا ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨].

فبَيَّن مَثَلَ اليهود: وأنهم عملوا طويلًا وأجرهم أَقَلُّ، فعملوا مثل من أول النهار إلى الظهر، فأعطاهم الله أجرهم ما بَخَسَهُم، ما نقصهم، فالوقت طويلٌ والعمل كثيرٌ؛ لأنهم يُعَمَّرُون مئات السنين.

ومَثَلُ النصارى: كمن عمل من الظهر إلى العصر، أقل من اليهود، وأُعطوا أجرهم، وما ظلمهم الله، ما نقصهم.

ومَثَلُ هذه الأمة: كمن عمل من العصر إلى غروب الشمس، فأعطاه الله -جَلَّ وَعَلَا- أجره كاملًا مُوَفَّرًا ومِثْلَي أجري صاحبيه، مثل أجر اليهود والنصارى، فهذا فضل الله ﷻ، الوقت قصيرٌ؛ من العصر إلى غروب الشمس، ومع ذلك نالوا ثلاثة أجور: أجر العمل، ومِثْل أجر النصارى، ومِثْل أجر اليهود، فعَوَّضَهُم الله ﷻ على قِصر الأعمار وقِلة الأعمال عِظَم الأجور، فحازوا السبق قصبات السبق في الدنيا والآخرة، نحن الآخرون من الأمم والأولون يوم القيامة، المقضي بينهم قبل الخلائق، وأول من يدخل الجنة، وأكثر أهل الجنة، بل جُمْلَةُ أهل الجنة من هذه الأمة.

فالجنة مائة وعشرون صفًّا، وهذه الأمة تساوي ثمانين صفًّا، وأربعون صفًّا من اليهود والنصارى وغيرهم، فهذا يدل على تفضيل الله ﷻ لهذه الأمة، وإكرامه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لهم، وهذا من بركة بِعْثَتِه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لنبيه ﷺ لهذه الأمة، وأنها خَصَّها به، وخَصَّه بهم، وإنزاله القرآن العظيم الذي هو أشرف الكتب وأشرف الكلام، وكل كلام الله شريفٌ.

فهذا يدل على فضل الإسلام، وأنه دينٌ فضله الله ﷻ على جميع الأديان، وفضل أهله على جميع الأمم، وفضلهم يوم القيامة على سائر أهل الجنة. **نعم**.

وفيه أيضـًا عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَلِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أهل الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

الشرح:

وهذا من وجوه تفضيل هذه الأمة، ومن فضائل دين الإسلام أيضًا.

فإن الله ﷻ قد قَضَى في علمه السابق وحُكْمه الشرعي أن يكون لِعباده عيدًا يفرحون به، ويغتبطون بما شرع الله -تَعَالَى- فيه، ويُعظمونه، ويُثيبهم الله ﷻ على عملهم واغتباطهم، وفرحهم به، وتعظيمهم له، ثوابًا عظيمًا، لكن الله وَكَلَ اليهود والنصارى إلى أنفسهم فالتمسوا هذا اليوم، فاختارت اليهود يوم السبت، واختارت النصارى يوم الأحد، وجعلوا ذلك عيدًا، فجاء الله بهذه الأمة وهداها ليوم الجمعة، الذي هو خِيرَتُه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ من الأيام، فجعل خيرته من الأيام لخِيرته من الرسل وخِيرته من الأمم سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فضلًا منه وكرمًا، وما ظلمهم الله، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ففضلنا الله عليهم، وجعلهم تبعًا لنا، ونحن السابقون.

فلنا الجمعة، ولليهود السبت، وللنصارى الأحد، فنحن السابقون، السابقون في الدنيا إلى هذا اليوم، والسابقون في الآخرة، المقضي بينهم يوم القيامة قبل الخلائق، وهكذا هم أخطأوا هذا اليوم وهدانا الله له فضلًا منه - سبحانه -.

وشَرَعَ لنا من العبادة فيه كذلك ما هو مُوجِبٌ رفعة الدرجات، فمن اغتسل يوم الجمعة، ولبس أحسن الثياب، وخرج إليها ماشيًا، وبكَّر، وانتهى حيث ينتهي به المجلس والصف، ولم يتخط الرقاب، ولم يُفَرِّق بين اثنين، وصلى ما كُتِب له، حتى يخرج الإمام، فإن خَرَج الإمام استمع له وأنصت، وصلى مع الإمام، ولم يَلْغُو، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى،

وزيادة ثلاثة أيام، فضلٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا على هذا المقياس، كل خصلة فَضَّلنا الله عَزَّ وَجَلَّ بها على الأمم. **نعم**.

وفيه تعليقـًا عن النبي ﷺ أنه قال: «أَحَبُّ الدِّين إِلَى الله الحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَة». انتهى.

الشرح:

الحنيفية: هي المائلة على طريق الاستقامة قصدًا.

والحنيف: هو المائل على طريق الاستقامة قصدًا كذلك.

وذلك لأن جُملة الخلق وجُملة المكلفين ضلوا عن سواء السبيل، فلم يهتد إليه إلا قلةٌ من الخلق، كما قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص:٢٤]، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣]، وقال: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام:١١٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

فقِلَّةٌ من المكلفين سلكوا الصراط المستقيم، والكثرة حادوا عنه، ومالوا قصدًا، وأعرضوا وعارضوا، فهَدَى الله أهل الإيمان للاستقامة على الطريق المستقيم، وصارت الحنيفية كأنها هي المائلة وأهلها عما عليه أكثر الخلق، وهي ليست مائلة، هي مستقيمةٌ مُصيبةٌ، لكن بالنظر إلى كثرة الخلق المنحرفين، صار كأنهم هم الذين قَصَدُوا الحق، وأهل الحق هم الذين مالوا عنه، هذا في النظر لأول وهلةٍ، لكن في الحقيقة أن أهل الحق هم الذين مالوا إلى الحق قصدًا، ورغبةً عن الباطل.

وما بُعِث به النبي ﷺ هو أيسر الدين، وأكمل الدين، وأعظم الدين ثوابًا، وأوفره أجرًا، فبُعث ﷺ بالحنيفية السمحة، وقال: بعثت بالمِلَّةِ العَوْجَاءِ، يعني في النظر الأول كأنها هي المعوجة وهي المستقيمة؛ لأنها على الحق؛ لأن أكثر الخلق انحرفوا عن طريق الحق. **نعم**.

وعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: عَلَيكُمْ بِالسَّبيل والسُّنَّةِ، فإنَّه ليس مِنْ عَبْدٍ على سبيلٍ وسنةٍ ذَكَرَ الرحمن ففَاضَتْ عيناه من خشية الله فتَمَسَّهُ النار.

الشرح:

هذه من وصايا السلف الصالح، وأئمتهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

فإنهم عرفوا الحق واختاروه، ورغبوا فيه، واستقاموا عليه، وثَبَتُوا، من فضل الله عَزَّوَجَلَّ، واغتبطوا بذلك، ولذلك وَصَّوا من بعدهم أن يستقيموا على السبيل على الطريق المستقيم الذي شرعه الله عَزَّوَجَلَّ.

والصراط المستقيم يُفَسَّر تارةً بأنه القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ويُفَسَّر بأنه الرسول ﷺ؛ لأنه على صراطٍ مستقيمٍ، ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ [الأنعام:١٦١]، ويُفَسَّر بأنه الإسلام.

ولا مُنافاة بين هذه التفاسير، فالصراط المستقيم هو الحق، وهو الإسلام، وهو العمل بالكتاب العظيم، وهو العمل بالسُّنَّة المطهرة، فهذا هو الصراط المستقيم.

فمن أخلص لله قَصْدَه، وعَمِل بشرعه مستقيمًا على الكتاب والسنة، فهو على الصراط المستقيم، وهو الذي يُوَفَّى أجره يوم القيامة، قال تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢]. **نعم**.

وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ وَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللهِ تَعَالَى إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا أَصَابَهَا رِيحٌ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا.

يعني: أن هذا من فضل الاستقامة والتوحيد نيةً وقصدًا، والاستقامة على السنة وعلى الشريعة الإلهية، وأداء ذلك على الكيفية المُتلقاة عن النبي ﷺ، فإن من فضل الله – عز وجل – على من كان كذلك أنه تُغْفَر خطاياه، وتتحات عنه، كما يتحات ورق الشجر اليابس إذا عصفت به الريح، فإن الله ﷻ يُكَفِّر بالاستقامة على التوحيد ولُزُوم السنة السيئات الكثيرة، ويُضاعف الحسنات، ويُعَظِّم الأجور. **نعم**.

وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ.

نعم؛ فإن الذي ينبغي لزوم الكتاب والسنة، لزوم منهاج النبي ﷺ وسنته، وذلك قَصْدٌ يعني يسيرٌ، فإن النبي ﷺ بُعِثَ بالحنيفية السمحة، ونُهِي عن التكلف، والاجتهاد في البدعة شؤمٌ؛ لأنه على غير الجادة، ويُؤدي إلى السآمة والملل والترك، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد:٢٧] ، يعني هم قصدهم هذا؛ ابتغاء رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها، فكل مُتَكَلِّفٍ ومبتدعٍ لا بد أن يترك؛ لأنه يعبد الله ﷻ بالهوى لا بالهُدى، ولا يخرج من هواه إلا إلى شرٍّ منه، فإن أهل الأهواء تتمايل بهم الأهواء، فلا يخرجون منها، وإلا دخلوا في شرٍّ منه، إلا أن يعودوا إلى الحق، ويستقيموا على السنة. **نعم**.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: يَا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ كَيْفَ يَغْبِنُون سَهَرَ الْحَمْقَى وَصِيَامَهُمْ؟ وَلمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بِرٍّ مَعَ تَقْوَى وَيَقِينٍ أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَرْجَحُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ عِبَادَةً مِنَ الْمُغْتَرِّينَ.

الشرح:

يعني إن العمل اليسير المُوافق للسنة، في أصل المشروعية والأداء والكيفية، ويُبتغى به وجه الله عَزَّ وَجَلَّ إخلاصًا ونيةً، أفضل من الكثير الذي يتخبط صاحبه، تارةً يُصيب الحق، وتارةً يُخطئه، ويدخل نيته ما يُداخلها من الالتفات إلى غير الله عَزَّ وَجَلَّ، والإعجاب بالنفس، والمَنِّ على الله، والإدلاء بالعمل. **نعم.**

باب وُجُوبِ الدَّخُولِ فِي الإسلام

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

الشرح:

يعني وجوب الدخول في الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ، الذي شرعه الله ﷻ وأكمله وأتم به النعمة، ورضيه لعباده دينًا، فيجب على جميع المكلفين ممن عاصر النبي ﷺ وممن جاء بعده إلى أن يأتي الله بأمره، يجب عليهم الدخول في الإسلام، ومن كان على دينٍ سابقٍ يجب عليه أن يترك دينه السابق، ويدخل في الإسلام، ومن لم يكن على دينٍ فليدخل في الإسلام، فإن الله ﷻ لا يقبل غير الإسلام دينًا. **نعم**.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

الشرح:

يعني الدين الحق المقبول الذي يترتب عليه الثواب، ويَعْظُم عليه الأجر، ويُقْبَل في الدنيا والآخرة، هو الإسلام الذي بُعِثَ به محمد ﷺ، فمن ابتغى غيره من الأديان السابقة المنسوخة، أو من الأديان المخترعة، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يقبله منه، وهو من الأخسرين أعمالًا ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ۝١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴾ [الكهف: ١٠٤- ١٠٥]، فالواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس، من الرجال والنساء، جميع أجناس الخلق المُكَلَّفين من البشر والجن أن يدخلوا في دين الإسلام عامةً.

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يسمع بي يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم لا يؤمن بي، إلا دخل النار أو أدخله الله النار**».

وليس هذا خاصًّا في عامة المكلفين من الأمم، لأ؛ حتى الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، حتى أولي العزم، لو أدرك أحدٌ منهم النبي ﷺ ودينه، وجب عليه الدخول فيه، فإن النبي ﷺ لما رأى مع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ورقةً من التوراة، تغيظ؛ تَغَيَّر وجهه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وقال: «**أمتهوكون يا ابن الخطاب، ألم آت بها بيضاء نقية؟، والله لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**».

وأخبر ﷺ، بل أقسم على أنه ينزل ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آخر الزمان حَكَمًا عَدْلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، فيكون في آخر الزمان خليفةً للنبي ﷺ في أمته، بشريعة الإسلام لا بشريعة المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فإذا كان هذا في النبيين والمرسلين وأولو العزم المكرمين، فكيف بمن من دونهم؟،

فأيُّ مكلفٍ يسمع بالإسلام والرسول ﷺ، يجب عليه أن يَتَعَرَّف على الإسلام، ويتعلم الإسلام، وأن يدخل فيه، وإلا فهو من جثا جهنم، وليس لهم حجةٌ، حجتهم داحضة عند ربهم. **نعم**.

قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] الآية.

الشرح:

فجعل سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الطريق إليه واحدًا، وهو الإسلام؛ شَرْعُهُ ودينُه، فأساسه الملة الحنيفية، وبُنيانه الشرعة المحمدية: العمل بالكتاب والسنة، هذا هو دين الإسلام.

فيجب الاستقامة على الكتاب والسنة، فهذا صراط الله في الدنيا، طريقه في الدنيا الذي رسمه لعباده، هو اعتقاداتٌ، وأقوالٌ: علومٌ واعتقاداتٌ قلبية، وأقوالٌ لسانية، وأعمالٌ بدنيةٌ وجوارحيةٌ؛ فِعْلٌ لما أَمَرَ الله بفعله، وتَرْكٌ لما نهى الله عنه، وأخلاقٌ وأحوالٌ مرضيةٌ، هذا هو دين الله، هذا صراطه المستقيم، من ثبت عليه في الدنيا -نسأل الله أن يثبتنا وإياكم عليه- ثبته الله على الصراط المستقيم فوق النار يوم القيامة، وأجاره من عذاب النار، ومن زَلَّ عنه في الدنيا زل عن الصراط في الآخرة، وما سوى هذا الصراط فسُبُلٌ مُعوجةٌ، تؤدي بمن سلكها إلى النار.

فسبيل الله واحدةٌ مستقيمةٌ، وما سوى ذلك سُبُلٌ عليها دعاةٌ يدعون من أطاعهم على نار جهنم. نعم.

قال مجاهد: السُّبُلُ: الْبِدَعُ والشُّبُهات.

الشرح:

والبدعة قد تكون اعتقاديةً، وقد تكون قوليةً، وقد تكون عمليةً، وقد تكون أخلاقيةً وحاليةً، ما خالف الشرع فهو مُحْدَثٌ وبدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ وشرٌّ. **نعم**.

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، أن رسول الله ﷺ، قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». أخرجاه.

الشرح:

يعني من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ مردودٌ عليه؛ لأنه تَعَبَّدٌ بما لم يشرع الله عَزَّوَجَلَّ، من قولٍ أو فعلٍ أو قصدٍ أو خُلُقٍ، فهذا كله؛ ما خالف الحق فهو بدعةٌ، مردود على صاحبه.

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف ١٠٣-١٠٤].

قال ﷺ: «**من أحدث من أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، أي مردود عليه.

فالشرع له ميزانان:

ميزانٌ الباطن:

وهو الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ في القصد والنية.

ومن أدلته قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**».

وميزانٌ ظاهرٌ:

ومن أدلته قوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

فمن التفت بقصده ونيته إلى غير الله فعَمَلُه مردودٌ؛ لأنه شرك، ومن تَعَبَّد بما لم يشرع الله عَزَّوَجَلَّ، أو تعبد بالشرع على غير الطريقة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، فهو بدعةٌ: إما في أصل مشروعيته، أو في أدائه وكيفيته، والبدعة مردودة، فالشرك مردودٌ، والبدعة مردودة: الشرك في القصد والنية، والبدعة في أصل المشروعية أو في الأداء والكيفية. **نعم**.

وفي لفظ: «مَنْ عَمَلِ عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».

وللبخاري عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

الشرح:

فالنبي ﷺ يُخبر بهذا الحديث أن أبواب الجنة مُفَتَّحةٌ مُهَيَّأةٌ للناس، من أرادها فليسلك سبيلها، وليأخذ بأسباب دخولها: من الاعتقادات والأعمال القلبية الصحيحة المُوافِقة للشرع، ومن الأقوال اللسانية، ومن الأفعال الجوارحية الفعلية والتركية.

فمن أطاع النبي ﷺ وامتثل أمره فِعلًا، وامتثل نهيه تركًا، وتأسى به ﷺ كيفيةً في ذلك، دخل الجنة، ومن خالفه؛ من أعرض عنه، أو عارضه دخل النار.

جاء في هذا حديث آخر عنه ﷺ، قال: والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة يعني كلكم إلا من شَرَدَ على الله -تَعَالَى- شِرَاد البعير الضال، يعني من أعرض.

أبواب الجنة مُفَتَّحَةٌ ومُهيأةٌ، لكن من أعرض عن الجنة، فإن الله يوليه ما تولى.

قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فمن استهدى الله قولًا وفِعْلًا وحالًا وجهادًا ومجاهدةً هداه الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن أعرض وَلَّاهُ الله ما تولى، ووَكَلَهُ الله لنفسه، ومن وكله الله لنفسه فقد هلك.

«**يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديت، فاستهدوني أهدكم**». **نعم**.

وفي الصحيح عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ، أن رسول الله ﷺ قال: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجاهلية، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ». رواه البخاري.

الشرح:

يعني أن أبغض شيءٍ إلى الله الظلم.

والظلم هو وضع الحق في غير موضعه، أو: إعطاء الحق من لا يستحقه.

فالمُلحد في الحرم مُنتهكٌ لحُرمة الله ﷻ، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج:٣٠] ، فالمُحْدِثُ في الحرم حدثًا اعتقاديًّا أو قوليًّا أو فعليًّا أو عمليًّا، فهذا ملحد.

«ومن أحدث فيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا».

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الحج:٢٥]، فكل ملحدٍ ظالمٌ.

والإلحاد: هو الميل عن الحق، بأي صورةٍ كانت، فمن مال عن الحق في أي مكانٍ في العالم، فهو ظالمٌ آثمٌ جانٍ على نفسه وعلى غيره.

ومن ألحد في الحرم فهو أشنع؛ لأنه انتهك حُرمة الحرم، وعصى الله ﷻ في أخص سلطانه، فإثمه عظيمٌ، وجُرْمُهُ كبيرٌ.

وكذلك: من أحيى في الإسلام سُنَّةً جاهلية، من أحيى خصال الجاهلية؛ لأن خصال الجاهلية كفريةٌ: إما كفر أكبر أو كفر أصغر، من أحيى ذلك فقد ضاد الرسول ﷺ في دعوته، وخالف سنته، وسعى في تغيير دينه، فجُرمه عظيمٌ، وإثمه كبيرٌ.

وهكذا: مُطَّلب دم امرئ بغير حقٍّ، أن يقتله بغير قصاص.

ولا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما.

وأول ما يقضى في الناس يوم القيامة في الدماء.

ويأتي المقتول ظلمًا يوم القيامة يحمل رأسه، يقول: يا رب سل هذا فيما قتلني؟، فيدفعه الله إليه، يدفع الله القاتل إلى المقتول، ويقول شأنك به، فلا يتركه دون النار.

فالقَتْلُ شنيعٌ.

لهذا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣]

وأخبر سبحانه: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:٣٢] .

فالذي يتعدى بأن يقتل امرأً بغير حق، فهذا من أعظم الإلحاد، وحتى الحق لا يجوز له أن يَمُدَّ يده عليه ليقتله، وإنما يُطالب السلطان بأن يُنفذ القود في القاتل، فيقتص لأولياء الدم من القاتل الذي سفك الدم، والقتل شديدٌ وشنيعٌ جدًّا.

ومن شؤمه أن القاتل لا يُغفر له إلا يوم القيامة؛ لأنه يُغْفَر له حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بتعديه على حق الله في القتل، إذا تاب وأخلص، ويُغْفَر له حق أولياء الدم إذا عَفَوا أو قَبِلُوا بالدية، لكن حق المقتول كيف يُغْفَر والمقتول غائب؟! لن يرى القاتل المقتول إلا يوم القيامة، فيا

تُرى: هل يسامحه المقتول في يومٍ يفر المرء فيه من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه؟

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١١ - ١٤].

في هذه الحال الشديدة يُتصور أن يَغفر المقتول لقاتله؟!

بعيدٌ جدًّا، ولذلك اشتُهر عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قوله: ليس لقاتلٍ توبة، يعني: أنه ما تَكْمُل توبته ولا تتحقق إلا يوم القيامة، حين يُرْضِي الله عَزَّوَجَلَّ خصمَه، إذا صدق القاتل في التوبة، فإن الله يُرْضِي خصمه.

وذَكَرَ النبي ﷺ حديثًا عظيمًا في هذا، أنه يَمْثُل رجلان يوم القيامة بين يدي الله —سبحانه—، أحدهما مظلومٌ والآخر ظالمٌ، فيقول المظلوم: يا رب خذ حقي من هذا، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: كيف وقد فنيت حسناته؟ يعني أنك أُعْطِيت كل حسنات الظالم، ما بقي شيء، لكن المظلوم بقي له شيءٌ، ومن ذلك القتل لأنه ظلمٌ عظيمٌ؛ لأنه قَطَعَهُ عن العمل، واعترض على الله عَزَّوَجَلَّ فيما كَتَبَ من الأجل؛ لأنه اعترضه وهو لا يدري عن الأجل، فيقول المظلوم: يا رب خذ من سيئاتي وضع عليه خذ من سيئاتي وضع على الظالم، فالنبي ﷺ تأثر وبكى، قال: هذا اليوم يحتاج أحدٌ أن يُزاد عليه من سيئات غيره! يعني سيئاته كافيةٌ، ثم أخبر أنه يُقال للمظلوم: ارفع رأسك، فيرفع رأسه فوق، فيقال: ما ترى؟ فيقول: أرى قصورًا، ومنازل، وجنان، أو كما قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، لأي نبيٍّ هذا؟ لأي صديقٍ هذا؟ كيف يعني الوسيلة لتحصيل هذا الشيء، فيقال: لمن أدى ثمنه، فيقول: وما الثمن؟ فيقول: العفو، فيقول: قد عفوت، فيقال: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة. **نعم**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى -: قوله «سنة الجاهلية» يندرج فيها كل جاهلية مُطْلَقَةٍ أو مُقيَّدَةٍ، أي في شخصٍ دون شخصٍ، كِتَابِيَّةٍ، أو وَثَنِيَّةٍ، أو غيرهما.

الشرح:

الجاهلية منسوبة إلى الجهل.

والجهل عدم العلم أو مخالفة العلم، أن الإنسان يعمل عملًا ليس على يقينٍ من أنه صواب، وأنه عبادةٌ لله عز وجل، فهذا كله جهلٌ وجاهلية، فالله عز وجل لا يُتعبد بالجهل، ولا بأمور الجاهلية؛ وإنما يُتعبد بما شرع. **نعم**.

كتابيةٍ، أو وثنيةٍ، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون.

فأنت لا تتبع جاهليات الجاهلين، لا جهل المجوسية، ولا جهل اليهودية، ولا جهل النصرانية، ولا جهل الأُمِّيَّة، ولا جهل الملاحدة الدهرية، ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الأعراف:٣] ، فالواجب العمل بالكتاب المُنَزَّل، واتباع النبي المرسل صلى الله عليه وسلم، وإخلاص النية لله عز وجل. **نعم**.

وفي الصحيح عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «يَا مَعْشَرَ القُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا».

الشرح:

يعني استقيموا على الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح من الأمة، لا بأهوائكم ولا بفهمكم القاصر، ولا بتقليد غيركم، من غير أن تعرفوا حُجته، ومَأْخَذَه، استقيموا على الكتاب والسنة، بفَهْم السلف الصالح من الأمة. **نعم**.

«يَا مَعْشَرَ القُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلالًا بَعِيدًا».

ولذا مر ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في الكوفة بالمسجد، وإذا فيه حلقةٌ، وما أشبه الليلة بالبارحة، بينهم رجلٌ يقول: سبحوا الله مائة، فيسبحون، فيقول: احمدوا الله مائةً، فيحمدون، وكبروا الله مائة، فيكبرون، فعَجِب من صنيعهم، بدعةٌ إحداثٌ، فقال: يا هؤلاء، عُدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ على الله عَزَّوَجَلَّ ألا يُضيع من حسناتكم شيئًا، ثم قال: والله لا أدري أَفُقْتُم أصحاب محمد ﷺ علمًا! أم جئتم ببدعة ظلماء! قالوا: يرحمك الله، والله ما أردنا إلا الحق، فقال: كم من مريدٍ للحق لم يُوَفَّق له، الذي يريد الحق يسلك سبيله، ويتحرى مظانه، ويأخذه عن أهله، أما أن يبتدع ويَخترع، ويُلزم الناس بابتداعه واختراعه، لا.

وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكون أقوامٌ يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، تحقرون صلاتكم عند صلاتهم، وصيامكم عند صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»، فوالله لا أدري فلعل أكثركم منهم، يقول الراوي: فلما كان يوم النهراوان، وإذا أغلب هؤلاء يطاعنوننا بالسيوف، يقاتلون الصحابة والتابعين، هؤلاء المُتَعَبِّدة المُتَنَسِّكة على الضلالة والبدعة.

فدل هذا على أن التصوف مَفْرَخَةٌ للخوارج؛ الخروج، والصوفية، مثل ما عليه أهل التبليغ، مفرخة للخوارج، مثل ما عليه الإخوان المسلمون وغيرهم، فهذا مفرخةٌ لهذا، كلهم على ضلالة؛ لأنهم كلهم مُعْرِضون عن السنة، مُعارضون للسنة بالبدع والمحدثات، مُبْغِضُون لأئمة أهل السنة وأَتْبَاع السنة، فهؤلاء صوفيةٌ ضلالٌ مُتَشَبِّهُون بالنصارى، وهؤلاء على علمٍ وثقافةٍ لكن لا يعملون بعلمهم، بل يخالفونه عمدًا وقصدًا، متشبهون باليهود.

وأهل الحق هم السائرون على طريق المُنْعَم عليهم، بالعلم النافع والعمل الصالح، من النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا، جعلنا الله وإياكم منهم. **نعم**.

وعن محمد بن وضاح عن حذيفة: أنه كان يدخل المسجد فيقف على الحِلَقِ فيقول فذكره.

وقال: أنبأنا سفيان بن عيينة، عن مجالدٍ، عن الشعبي، عن مسروقٍ، قال عبد الله -يعني ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : ليس عامٌ إِلَّا والذي بعد أَشَرُّ منه.

الشرح:

يعني حال الناس.

فالزمان زمان الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن حال الناس وأعمال الناس وأُمور الناس تتغير، كلما قَلَّت الاستقامة، وغلبت الأهواء، زاد الشر، كلما اندثرت آثار النبوة، وخفيت معالم منهاج السلف الصالح، زاد الشر، وفَسَدَ الناس، فتَخِفُّ العقول، وتطيش الأحلام، حتى يكون الناس في خفة الطير، وأحلام السباع. **نعم.**

لا أقول عامٌ أَمْطَرُ من عامٍ، ولا عام أخصب من عامٍ، ولا أميرٌ خير من أميرٍ، لكن ذَهَاب علمائكم وخياركم.

ذهاب العلماء تذهب به السنن، فيتخذ الناس رؤوسًا جهالًا؛ لأنه يقبض العلم بذهاب العلماء، فيتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فيفتون بغير علمٍ، فيَضلون ويُضلون، كما ترون اليوم في كثيرٍ من المناسبات، ووسائل الإعلام وغير ذلك من يُفتي بغير حقٍّ وهو يعلم، ومن يفتي بغير حقٍّ وهو لا يعلم، ومن لا يتورع أن يقول: لا يدري، فيُضل نفسه ويضل غيره، نسأل الله العافية والسلامة.

ومن أخطأ «لا أدري» أصيبت مقالته. **نعم.**

ثم يحدث أقوامٌ يقيسون الأمور بآرائهم فيُهْدَم الإسلام ويُثلم.

يعني يقول: لا أعلم، لا أعلم في هذا شيء، هذا ما يكفي، فكونك لا تعلم لا تُفتي، غيرك يعلم، لكن تُفتي لأنك لا تعلم.

أَطَّلَعْتَ على أقوال أهل العلم كلها، واجتهادات المجتهدين من أئمة الفقه والدين؟!

لا ما اطلعتَ؛ جاهل، كونك قاصر العلم لجهلك ليس حجةً لك عند الله يوم القيامة، فقل: لا أدري لا تُفتي، لا تُفتي بالظن والقياس وتقول خلاص، لأ، قل: لا أدري.

قدم رجلٌ على الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بلادٍ بعيدةٍ، ولَمَّا لقيه سأله عن أربعين مسألة، فأجاب عن أربعةٍ، واعتذر عن ست وثلاثون، قال: سبحان الله، أنت مالكٌ الذي يقول الناس عنه كذا وكذا وتضرب لك آباط الإبل؟ قال: نعم، أَخْبِر من ورائك أن مالكًا لا يدري.

وقال هو أيضا - الإمام مالك -: إذا جاءك السائل، لا تقل لعلي أجد له مخرجًا، حتى تعلم مخرجك عند الله.

فهذا أمرٌ خطيرٌ يعني، القول على الله في دينه بغير علمٍ، كذبٌ على الله عَزَّوَجَلَّ، وكذبٌ على رسوله ﷺ، وكل من كَذَبَ على الله ورسوله لا بد أن يُضِلَّ الناس شاء أم أبى.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٤]، فلا تكن مُتَنَسِّكًا كَذابًا على الله ورسوله.

ألم تعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ قال في حق نبيه ﷺ وحاشاه: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة:٤٤] لو قال علينا ما لم نقل ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]، يعني لأهلكناه، ولقصمنا عمره.

فتظن أن الله يتوعد رسوله ﷺ بهذا الوعيد، ويُعفيك ويَتركك تكذب عليه وعلى عباده؟!

فاتق الله، وارحم نفسك، لا تجعل نفسك في حرجٍ في الدنيا والآخرة، تتعلق بك الخلائق يوم القيامة، تقتسم حسناتك وتُحَمِّلك من سيئاتها، ولا يكفي، يبقى عليك أوزارٌ عظيمةٌ كالجبال، تغمسك في أسفل النار، والعياذ بالله.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف:٣٣]، هذه أخف المحرمات وهي ثقيلةٌ وكبيرةٌ جدًّا.

﴿ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ هذه أعظم وأكبر.

﴿ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ فهذا أعظم وأكبر وأخطر.

﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ هذا أعظم وأخطر وأكبر، أعظم من الشرك، فإذا كُنْتَ الآن تعتقد ضلال المشركين بشِركهم، وهلاكهم وخسراهم لشركهم، فإذا قلت أنت على الله وفي دينه بغير علمٍ، فأنت أضل وأخسر منهم.

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

احذر، أنت في عافية، ما وجبت الفتيا عليك عينًا، حتى لو أنت من أهل العلم الكبار، ما وجبت عليك الفتيا عينًا، حتى لا يُوجد غيرك، يوجد مُفْتُونٌ مَنْصُوبُون من قبل ولاة الأمور، ومراجع للناس وأنت في عافية، لا تدخل نفسك في شيء عافاك الله منه، لا تُحَمِّل نفسك ما لا تطيق، أَحِلْهُم.

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يكون الجَمْعُ منهم في المسجد، كلهم صحابةٌ، وكلهم علماء، كل واحدٍ يُحيل السائل على الآخر حتى تنتهي إليه مرةً ثانية من الورع، وهكذا الأئمة يُحيلون السائل على مَنْ هو أكبر منهم، وأجل قدرًا؛ ورعًا وحذرًا من القول على الله وفي دينه بغير علمٍ، بل وحذرًا من إعجاب النفس وغرور النفس.

قال بعض السلف: **والله الذي يُفتي في كل ما يُسئل عنه لمجنون.**

أقسم ابن مسعود وغيره على هذا، يقول الذي يفتي في كل ما يُسئل مجنون، طيب: إذا طبقنا القاعدة اليوم على كثيرٍ من المشاهير، ويش تقول عنهم؟

مجانين، يودون لشهار في الطايف مستشفى شهار؛ لأنهم يفتون في كل ما يُسألون، ساعتين في القناة يفتي عن أي شيءٍ، سواءً من اختصاصه أو من غير اختصاصه، شرعي أو غير شرعي، وهذا يدل على نقصان العقل، وذهاب الحلم، نسأل الله العفو والسلامة. **نعم**.

باب تفسير الإسلام

وقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران:٢٠] الآية.

الشرح:

إسلام الوجه هو الإخلاص لله عز وجل، والاستقامة في القصد، ابتغاء وجه الله عز وجل، أن تعمل العمل الذي شَرَعَه الله عز وجل على وفق ما شرع، على السنة؛ تبتغي وجه الله عز وجل، هذا إسلام الوجه، وهو الاستسلام لله عز وجل، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤]

نعم.

وفي الصحيح عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا».

الشرح:

يعني هذه أركان الإسلام، ومبانيه العظام:

الشهادة لله عَزَّ وَجَلَّ بالتوحيد عن علمٍ، وإخلاصٍ، وتصديقٍ، وقبولٍ، ومجانبةٍ لِمَا يُنافي ذلك، ومحبةٍ، وانقيادٍ، تقول «لا إله إلا الله» معتقدًا بقلبك ألا معبود بحقٍّ إلا الله، مخلصًا في قصدك وعملك لله عَزَّ وَجَلَّ.

هذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

ومقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله: شهادتك للنبي ﷺ بالرسالة: إقرارٌ بنبُوته، وتصديقٌ برسالته، والتزامٌ باتباعه على شريعته.

ومقتضى ذلك أن تُصدقه فيما أخبر، وتُطيعه فيما أمر، وتجتنب ما نهاك عنه وزجر، ولا تَعْبُد الله إلا بما شَرَع، ولا تتبع أحدًا غيره، إلا من هَدَاك إلى اتِّباعه، فتتبعه لاتباعه النبي ﷺ.

هذا الركن الأول من أركان الإسلام، فهو ركنٌ قولي، وعلمي اعتقادي، وحالي، والتزامٌ بالاتباع، وتَرْك ما يُخالف ما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وتحقيق ذلك بالتوحيد الفعلي: بالصلاة، أداء الصلوات كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وكما بين نبيه ﷺ، والمحافظة عليها، بشرائطها، وأركانها، وواجباتها، وتكميلها بالسنن والنوافل.

وكذلك التوحيد المالي: بأداء الزكاة، والصدقات، وأنواع التبرعات ابتغاء وجه الله عَزَّ وَجَلَّ.

والتوحيد الفعلي التركي: بترك محبوبات النفس، وشهواتها لله عَزَّ وَجَلَّ كما شرع بالصيام.

والتوحيد القولي والفعلي والمالي والبدني: وهو الحج، والجهاد في سبيل الله.

فهذه أقوالٌ وأعمالٌ ظاهرةٌ مُنْبَنِيَةٌ على علومٍ واعتقاداتٍ وأعمالٍ باطنةٍ، فيكون إسلامًا حقيقيًا، وانقيادًا لله عَزَّ وَجَلَّ ظاهرًا وباطنًا.

فهي استسلامٌ لله، كامل، ظاهر وباطن، قولًا، وفعلًا، وحالًا، ومالًا، وتركًا، وبدنًا، وهكذا. **نعم**.

وفيه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

الشرح:

فهذا أيضًا من الترك، من الكف، أن تكف عن الكلام الحرام: عن الغيبة، والنميمة، والبهت، والكذب، والافتراء، والقول على الله -تَعَالَى- وعلى رسوله ﷺ بغير علمٍ، فيسلم المسلمون من لسانك؛ لأنك تُضلهم بلسانك إذا كذبت على الله ورسوله، ولأنك تفتري عليهم، تقول عليهم، والغيبة والنميمة ظلمٌ لهم، وكذلك تكف يدك، كما قال ﷺ: إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرامٌ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟.

فيسلم الناس من يدك، فلا تضرب أبشارهم، ولا تأخذ أموالهم بغير حقٍّ، لا عن ربا، ولا عن رشوةٍ، ولا عن غشٍّ، ولا عن سرقةٍ، ولا عن نهبةٍ، ولا بأي وجهٍ محرمٍ، وتسلم أعراضهم منك: من غيبةٍ ونميمةٍ، وقذفٍ، وغير ذلك.

فالمسلم الحق الكامل: من سلم المسلمون من لسانه ويده، وما لم يَسلموا فإن إسلامك ناقصٌ بحسب ذلك، قد يكون نقصًا في الاعتقاد، قد يكون نقصًا في القول، قد يكون نقصًا في العمل، قد يكون نقصًا في الخلق، وما نَقَصَ أَثِمْتَ بحسبه، وفاتك من الخير بحسبه، **نعم**.

وعن بهز بن حكيمٍ، عن أبيه، عن جده، أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام، فقال: «أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة». رواه أحمد.

الشرح:

أن تُسْلِمَ وجهك لله يعني تُخْلِص لله عز وجل في نيتك وقصدك، وتستقيم على السنة، تتوجه حيث وجهك الله عز وجل، وتؤدي هذه الأعمال الظاهرة لأنها دلائل وبراهين على الإيمان الباطن والتوحيد الصادق. **نعم.**

وعن أبي قلابة، عن رجل من أهل الشام، عن أبيه، أنه سأل رسول الله ﷺ: ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك».

الشرح:

أن تدع الناس من الشر، فإنها صدقةٌ منك على نفسك. **نعم**.

قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان» قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت».

لأن الإيمان هو أساس العمل الصالح، فالإيمان أصل القاعدة، والعمل الصالح من قولٍ أو فعلٍ أو خُلُقٍ، وترك واجتناب ما نهى الله عنه هذا بنيانٌ، فتقيم بنيانك على أساسٍ صحيحٍ، على اعتقادٍ سليمٍ، وتوحيدٍ مُحَقَّقٍ.

بركة.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ولنا لقاء آخر نكمل إن شاء الله. والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه

المجلس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

اللهم اغفر لنا، ولشيخنا، وللمسلمين أجمعين.

باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران:٨٥]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنْتَ السَّلَامُ، وَأَنَا الْإِسْلَامُ، فَيَقُولُ اللهُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]. رواه أحمد.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذا الفصل أراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبين أن دين الإسلام وحده هو الدين الحق المقبول، وأنه لا يكون مسلمًا إلا مَنِ استقام عليه، بأن التزم بأركانه الظاهرة وأداها لله عَزَّ وَجَلَّ خالصةً لوجهه وعلى وفق السنة الثابتة عن النبي ﷺ، وحافظ على ذلك واستقام عليه حتى

يلقى الله ﷻ، فإن هذه الأركان العظيمة تأتي يوم القيامة تُعَرِّف بنفسها، والمعنى أنها تشهد لصاحبها، فيقول الله ﷻ لكل عبادة: إنك على خير.

فهذه أركان الإسلام.

ثم يأتي الإسلام والإيمان، فدل ذلك على أن الدين هو الإسلام والإيمان، وأن الإسلام والإيمان ينبغي أن يُؤَدَّيا على وجه الإحسان، فيستقيم المرء على حقائق الإيمان الباطنة، الإيمان بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الأخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، ويستقيم على الأركان الظاهرة، فيقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت الحرام، ويلتزم بأخلاق الإسلام، ويَحْذر ويُجانب أضداد هذه الأمور ونواقصها، فيكون بذلك مسلمًا حقًّا، ومؤمنًا صدقًا، وهذا الذي يرفع الله به عبده درجاته، ويعلي مقامه يوم القيامة بين الخلق.

فالواجب الاستقامة على الإسلام والإيمان ظاهرًا وباطنًا، بالصدق في حقائق الإيمان الباطنة، وما يترتب على ذلك من النيات والمقاصد، والاستقامة على أركان الإسلام، وشعائرها الظاهرة، وجعل لله ﷻ الأخلاق والنوافل سياجًا للإسلام والإيمان، وبكمالها يَكمل الإسلام والإيمان، وبنَقْصها ينقص الإسلام والإيمان.

ولذا النبي ﷺ جعل هذه كلها شعب الإيمان، قال: الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

فلا بد من الاستقامة على الإسلام، والاستسلام لله ﷻ بذلك، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦] ، فلا يتخير من أركان الإيمان وأركان الإسلام ما يعجبه، ويدع ما سوى ذلك، هذا ليس بمؤمنٍ، هذا عابدٌ لهواه، ليس مطيعًا لله ﷻ.

فالواجب الاستقامة على الإسلام باطنًا وظاهرًا، قولًا وفعلًا وحالًا، ولذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **استقاموا على الإسلام والإيمان، ولم يروغوا روغان الثعالب.**

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **هذا حبيب الله، هذا وَلِيُّ الله، هذا خِيرة الله من خلقه، استقام على الإسلام، ودعا إلى ما استقام عليه**، أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فلذلك ينبغي للإنسان أن يكون مستقيمًا على الإسلام حقًّا، محافظًا على حقائق الإيمان، وعلى أركان الإسلام، وعلى مُكَمِّلات ذلك، ومجانبًا لما يُناقض ذلك أو ينقصه، هذا هو المؤمن، وهذا هو المسلم الحق الكامل، هكذا ينبغي.

فهذا أمر عظيم، ولهذا كل شيءٍ يشهد للعبد يوم القيامة، ويأتي يُخاصم عنه، يُدافع عنه، وجعل الله عَزَّ وَجَلَّ لأمهات هذه الأعمال جعل لها أبوابًا من الجنة، حتى يُدعى المسلم من جميع أبواب الجنة يختار هو، فهذا أمرٌ لا بد من العناية به.

أما أن الإنسان يشتهي، ويختار، يحافظ على الصلاة ويضيع الزكاة، يحافظ على الزكاة ويضيع الصوم، يحافظ على الصلاة والزكاة والصوم ويضيع الحج والعمرة، يحافظ على هذه ويضيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يحافظ على هذه ويضيع النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فهذا ليس مؤمنًا كامل الإيمان هذا ناقصٌ، هذا دخله شيءٌ من الهوى في نفسه، كأنه يَستدرك على الله عَزَّ وَجَلَّ في شَرْعه، لا بد من الاستقامة الظاهرة، ولذلك المؤمن يضرب بسهمٍ وافرٍ في كل خصلةٍ من هذه الخصال.

ولذلك كان ﷺ كثير الصلاة، وكان يصلي ويُطيل الصلاة، ويقوم على قدميه الشريفة حتى تفطرتا، فقيل له: كيف تصنع ذلك يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! فيقول: أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا.

وكان ﷺ كثير الصدقة والبذل ابتغاء وجه الله ﷻ، فكان أكرم الناس وأجود الناس عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فكان لا يُسئل شيئًا على الإسلام إلا أعطاه إياه، وكان يقول: «**أنفق بلالا، ولا تخشى من ذي العرش إقلالا**»، ويقول: «**ما يسرني أن يكون لي مثل أحدٍ ذهبًا، تمضي عليَّ ثلاث وعندي منه شيء، إلا أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا، إلا شيئًا أرصده لدين**».

وكان ﷺ كثير الصيام، فكان لا تشاء تراه مفطرًا إلا رأيته، ولا تشاء أن تراه صائما إلا رأيته، وكان يصوم حتى يُقال لا يفطر، ويُفطر حتى يقال لا يصوم، ليش؟ لأنه إذا شُغِل عن نوافل الصيام أفطر، ثم إذا زال الشاغل أو المانع قضى ما أفطر.

وكان ﷺ كذلك كثير الجهاد، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ديدنه ذلك، الجهاد والدعوة إلى الله ﷻ، وتبليغ رسالات الله ﷻ، والنصح لعباده.

وكان ﷺ كثير الذكر لله ﷻ، يذكر الله على كل أحيانه، ما خلا إلا حين يُفضي إلى أهله أو حين يكون على حاجته.

والله – تعالى – يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

ويقول النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين**».

فيكون المؤمن المسلم مستقيمًا على دين الله ظاهرًا وباطنًا، ثابتًا على ذلك، أسوةً حسنةً في ذلك، وداعيًا إلى ذلك بأفعاله وأقواله، أبلغ من الدعوة بأقواله، هكذا ينبغي، ويكون ممثلًا

للإسلام حقًّا، وممثلًا للنبي ﷺ وللسلف الصالح حقًّا، بحُسن سيرته، وحسن تعامله ولطفه، وغيرته لله – عز وجل – على وفق الشريعة، ما يتجاوز الحدود، هكذا. **نعم**.

وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، أن رسول الله ﷺ قال: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ». رواه أحمد.

الشرح:

والمعنى أنه في ذلك كله يكون على الكتاب والسنة، متبعًا لكتاب الله ﷻ، مُستمسكًا بهدي النبي ﷺ، ويَحذر من الإحداث والبدع، يحذر أن يُحْدِث شيئًا يُؤخذ عنه على أنه دينٌ، وهو ليس من دين الله.

ومن هذا أن يكون ملازمًا للسنن، حتى تُعْرف السنن من حركاته وتصرفاته، فيُطبق السنن، يعتني بالسواك عند كل صلاة، وعند كل وضوء، ويكون متأدبًا في مجالس العلم، ويكون مريدًا للحق، ويُهمه أن يظهر الحق على لسانه، أو على لسان خصمه، وإذا ظهر الحق فَرِح به واغتبط به، ورجع إليه إن كان قد أخطأه، ويكون حسن الخلق مع الناس، حتى يُحبب الناس إلى دين الله ﷻ، وإلى منهاج السلف الصالح، ويحذر أن يلتزم أشياء يستحسنها هو، ثم تُؤخذ عنه على أنها من دين الله.

ومن هذ الآن: أن كثيرين مثلًا من الأئمة، أئمة المساجد أحدثوا في دين الله، فمنهم من يلتزم في قراءة القرآن من أوله إلى آخره في الصلوات الجهرية، ويُعطل السنن المروية عن النبي ﷺ، فكان يقرأ في الفجر غالبًا من طوال المُفَصَّل من الحجرات إلى آخر القرآن، وفي العشاء من أوساطه، وفي المغرب من قِصاره، فعَطَّلُوا السنن الثابتة وأحدثوا أمورًا استحسنوها هم.

ومن ذلك مثلًا: في صلاة الفجر يوم الجمعة لا يلتزمون بالسنة، بقراءة ألم ﴿ تَنزِيلُ ﴾ [السجدة]، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾ ، فالأصل الاستقامة على ذلك، فالإنسان لا يتركها إلا في

أحوالٍ نادرةٍ حتى لا يفهم الناس فرضيتها، يتركها وهو بِودِّه أن يُقيمها، وأن يحققها كل مرة، لكن يتركها من أجل أن يُفهم الفرق بين السنة والفرض، كذلك تجدهم يُخطؤون، الذي يقرأ (ق)، واللي يقرأ (القيامة)، والذي يقسم ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ بين الركعتين، ويستحسنه، يُغيرون السنن، يُميتون السنن ويحدثون البدع.

ومن ذلك القراءة في صلاة الجمعة، ثلاث سننٌ: سبح والغاشية، وتارةً: الجمعة والمنافقون، وتارةً: الجمعة والغاشية، فيُحافظ على هذه السنن، وأحيانًا يتركها مرةً، في الشهر في الشهرين في الثلاثة مرةً واحدة، لكن لا يُحدث؛ بعض الناس الآن يقرأ آياتٍ تُناسب موضوع الخطبة، فيُعطل السنن، ويحيي البدع، فيصير الصغار لا ينشؤون على السنة، ولا يعرفون السنة، ولا يُفرقون بين السنة وخلاف السنة، لأنه ما هو على منهج، فالواجب أن يكون طالب العلم على منهجٍ واضحٍ وأن يُعْرَف عنه ويَشتهر عنه التحري للسنة، والعمل بالسنة، والتمسك بالسنة، والحذر من البدعة والاستحسان في دين الله، لا بد؛ وإلا تموت السُّنن، فإذا تخلى عنها طلبة العلم ماتت السنن، واشتهرت البدع وحيت وورثها الناس، فشَبَّ عليها الصغير، وهرم عليها الكبير، ثم إذا طُبِّقت السنة يومًا من الأيام قالوا: بدعة، فهذه مشكلةٌ خطيرةٌ، فالإسلام اليوم في غربةٍ، الإسلام الحقيقي الصحيح في غربةٍ؛ لأنه قَلَّ المستمسكون به، المُتَّبِعون للسنة وما عليه أهل السنة والجماعة، فلا بد من الاهتمام بهذا.

وأول من يأخذ عنك دين الله ﷻ زوجتك وولدك، وبنتك، وأبوك، وأمك، وجارك، ومن معك، فإذا لم يتعلموا منك السن فلا خير فيك، وإذا تعلموا منك البدع فهذا شؤمٌ، فأنت مشؤومٌ على نفسك وعليهم.

ولذلك كَثُرت الوصايا من النبي ﷺ في التزام السنة، والاستقامة عليها، والحذر من البدع والأهواء، وكَثُر كلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحض على لزوم

السنة والاستقامة عليها، وإن كَرِه الناس ذلك، وإن فارقك الناس، لا تبالي فيهم، أحيي السنة.

نعم.

باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه

وقول الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل:٨٩] الآية.

روى النسائي وغيره، عن النبي ﷺ، أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَرَقَةً من التوراة، فقال: «أَمُتَهَوِّكونَ يا ابن الخطاب، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًا واتبعتموه وتركتموني ضللتم».

وفي روايةٍ:« لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»، فقال عمر: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا.

الشرح:

فهذا فيه: بيانٌ للواجب على جميع المكلفين، وخصوصًا أهل العلم والإيمان، أن يعتنوا باتِّباع الكتاب المُنَزَّل، الذي وصفه الله عَزَّ وَجَلَّ بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ووصفه الله عَزَّ وَجَلَّ بأنه يهدي التي هي أقوم، وأخبر أنه حبله، وأمر بالاعتصام به، والتمسك به، فالقرآن العظيم هو أصل التشريع، والسنة جاءت مُواطِأةً للقرآن موافقةً له، وجاءت مُفسرةً له مُبينةً، وجاءت مخصصةً لبعض عامه، ومُقَيِّدَةً لبعض مطلقه، وجاءت أيضًا مُزيلةً للفهم الخاطئ لبعض نصوصه، واستقلت عنه بأحكامٍ وتشريعاتٍ ليست فيه، فلا بد من العمل والأخذ بالقرآن العظيم، والسنة النبوية، فإن القرآن هو أصل التشريع، وأصل الهُدى، والسنة مبينةٌ له، بجميع وجوه البيان، وكل ما ذَكَرْتُ من بيان السنة للقرآن العظيم، فلا بد من هذا: الاستقامة على التنزيل، ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الأعراف:٣] ، ﴿ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [الشورى:١٥] ، ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [فصلت:٦].

فلا تكون الاستقامة إلا بالعمل بالتنزيل، ولا يكون العمل بالتنزيل إلا بعد العلم به وفَهْمِه، ومعرفة مراد الله ﷻ بكلامه، ثم السنة، فإنها تُبينه بشتى وجوه البيان، وهي تطبيقٌ عمليٌّ دقيقٌ أمينٌ له، ولذا قال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، وقال: «**خذوا عني مناسككم**»، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**عليكم بسنتي**»، وقال: «**من رغب عن سنتي فليس مني**».

فلا بد من الاستقامة على الكتاب والسنة، وفَهْمِهما بفَهْم السلف الصالح من الأمة، بلا بد من هذا، ولا يتحقق الرضا بالله ﷻ ربًّا إلهًا واحدًا معبودًا حقًّا، ولا الرضا بالإسلام دينًا، ولا الرضا بمحمد ﷺ نبيًا رسولًا، إلا بذلك، فمن نقص من ذلك أو مال عنه أو حاد عنه، فهو قد نقص من رضاه بالله ربًا، ومن رضاه بالإسلام دينًا، ومن رضاه بالنبي ﷺ رسولًا، لا بد من الاستقامة على الكتاب والسنة، ومعرفة ما عليه السلف الصالح من الأمة في تطبيق القرآن والسنة، لا بد من هذا.

ولا يحل لمؤمنٍ بالله وباليوم الآخر أن يُصغي إلى أهل البدع والأهواء، ولا إلى أهل الملل المنسوخة، ولا إلى أهل المذاهب المخترعة، ولذا قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠٠ - ١٠١]، فإذا كان الله ﷻ حذرنا من اتِّباع اليهود والنصارى، فاتباع أهل الأديان المُختَرَعة أخطر وأبلغ في الخطر والفتنة، فلا يجوز اتباع اليهود والنصارى، ولا يجوز اتباع الملاحدة والدهرية، ولا أهل الجاهلية، ولا أهل الوثنية، ولا من أَخَذَ بطريقتهم ممن ينتسب للإسلام، من الجهمية والمعتزلة، من الصوفية والرافضة، ومن غير هؤلاء ممن انحرف عن الصراط المستقيم، وأخذ بسُبُل أهل الجاهلية، فيحذر الإنسان كل الحذر. **نعم**.

باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام

وقوله تعالى ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨].

عن الحارث الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجاهلية فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ». رواه أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

الشرح:

هذا على التوجيه النبوي الكريم للأمة أن يستقيموا على الإسلام، بحقائقه وأركانه وواجباته وسننه وأخلاقه، وأن يحذروا ما يُناقض ذلك ويُنافيه، أو ما يَنقصه ويُخل فيه، هذا هو الواجب على الإنسان، وما عليه أهل السنة والجماعة هو الإسلام الحق؛ لأنهم أخذوا بالدين كله، عملوا بالكتاب وعملوا بالسنة على ما عليه السلف الصالح من الأمة، أهل السنة والجماعة عملوا به، وأعملوا النصوص كلها، وفَقِهوا فيها، وجمعوا بينها، ولم يخالفوا بينه، ولم يخالفوا كتاب الله ﷻ بعضه ببعض، ولم يضربوا سنة النبي ﷺ بعضها ببعضٍ، ولم يعارضوا بين الكتاب والسنة، ولم يأخذوا ببعض الكتاب، يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض، ولم يؤمنوا بشيءٍ من السنة ويتركوا البعض، بل آمنوا بذلك جميعا، وعملوا به جميعًا، واستقاموا عليه جميعًا، وانتسبوا إلى الإسلام، إلى القرآن والسنة.

هذا هو الذي شرعه الله ﷻ وأَمَرَ به عباده، أن ينتسبوا إلى الإسلام، وأن يغتبطوا بالإسلام، وأن يُشْهِروا إسلامهم، وأن يُزيلوا الشُّبه عنهم.

ولذلك قال -تَعالَى- لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

فأمر الله نبيه ﷺ والمسلمين أن يغتبطوا بالإسلام، وأن يستقيموا عليه، وأن يُظْهِروه، وأن يَنشروه، وأن يحافظوا عليه، ويَذُبُّوا عنه، وأن يَرُدُّوا على أهل البدع والأهواء، على أهل الملل المنحرفة، هذا هو الدين الذي شرعه الله ﷻ، هذا هو الحق.

ولذلك النبي ﷺ أمرهم بهذه الأصول العظيمة، قال: آمركم بماذا؟ «**آمركم بخمس**»، انظر النبي ﷺ يأمرهم بهذا قال: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ**».

أول شيء: السمع والطاعة لله ﷻ، ولرسوله ﷺ.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

انظر يُثني الله ﷻ على عبده ورسوله محمد ﷺ والمؤمنين معه بهذا، أنهم تلقوا ما جاءهم عن الله ﷻ بالتسليم والقبول، والإذعان، والانقياد، والاستقامة، والثبات على ذلك.

ولما نزل قول الله ﷻ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٨٤]، شق ذلك على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقالوا: يا رسول الله، حملنا ما نطيق، وهذه الآية لا نطيقها؛ يعني نُؤَاخَذُ بما يقع في أنفسنا؟! ما نستطيع، فإنها

تَرِد الخواطر على النفوس والقلوب، فكيف نُؤَاخذ؟، هذا من التكليف بما لا يطاق يعني، فقال ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا! بل قولوا: سمعنا وأطعنا**»، استسلموا لله ﷻ، فاستسلموا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقالوا: سمعنا وأطعنا، فأنزل الله – تعالى – في إثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، قد أعطاهم الله ذلك، غَفَرَ لهم، ثم في إثرها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فصار معنى الآية الأولى أن هذا الذي يقع في أنفسكم من غير اختياركم، لا يؤاخذكم الله ﷻ به شريطة ألا تسترسلوا معه، احذروا فلا تتكلموا به، ولا تعملوا بمقتضاه، ولا تنقلوه إلى غيره؛ لأن هذا من إلقاء الشيطان.

ولذلك جاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه ما أن يخر من السماء فتخطفه الطير أهون من أن يتكلم به، قال: «**أوقد وجدتموه؟**» قالوا: نعم، قال: «**الله أكبر، ذاك صريح الإيمان**»، أن يكون في نفوسكم، ومع ذلك لا تتكلموا، ولا تذكروه لأحدٍ، ولا تعملوا بمقتضاه، وفي رواية قال: «**الحمد لله الذي رَدَّ كيده إلى الوسوسة؟**»، رد كيد الشيطان إلى الوسوسة، وفي أحاديث أخرى قال: «**أنه يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ ومن خلق كذا؟ فتقول: الله، فيقول: من خلق كذا؟ فتقول: الله، فيقول: من خلق الله؟** – تعالى الله وتقدس –، **قال: فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**».

وفي رواية: «**فليقل آمنت بالله ورسله**»، وفي رواية: «**الله خالق كل شيء**»، فهذا أمرٌ لا بد من التَّنَبُّه له؛ السمع والطاعة لله ورسوله.

ومن السمع والطاعة لله ورسوله: السمع والطاعة لأُولي الأمر بالمعروف، لا بالمنكر، بالمعروف، بالحق، إذا أمروا بشيءٍ من حق الله ﷻ، أو أمروا بشيءٍ من حقوقهم هم، فيُسمع

لهم ويُطاع من غير معصية الله، وإذا أمروا بما يخالف الشرع، فلا سمع ولا طاعة، ولكن لا يُخرج عليهم، يُصْبَر عليهم وعلى جَوْرِهم، فهذا من دين الله ﷻ: السمع والطاعة، التدين بالسمع الطاعة لولاة الأمر من العلماء والحكام؛ لأن العلماء يُبينون الأحكام والحكام يُنفذون، وهم المرجع من الأمن والخوف.

فواجب من موجبات الشريعة، من أصول الديانة: السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف، وألا يسمع لهم ولا يطاع في المعصية، ولكن لا يُخرج عليهم إلا أن يُرى كفرٌ بواحٌ، عندهم من الله فيه برهانٌ، وتتحقق القدرة بإزالة ذلك، من غير مفسدةٍ راجحةٍ.

هذه أمورٌ يُفتي فيها أهل العلم، ويُجْمع لها الأكابر، قضايا مصيرية قضايا الأمة، ما يتكلم فيها أحدٌ بمفرده، ولا يفتي فيها أحدٌ بمفرده، ولا يدخل فيها من ليس من أهلها، ولا يُشْغِل نفسه بها، فهذا من أصول الديانة، السمع والطاعة لله -تَعَالَى-، ولرسوله ﷺ، ولمَنْ أَمَرَ اللهُ ورسولهُ بالسمع والطاعة لهم، كالوالدين، وكالمَرْجع من قاضٍي أو مفتيٍ أو محتسبٍ أو نائبٍ لولي الأمر في شيء من اختصاصاته، كالوزير ونحوه بالمعروف، إنما الطاعة بالمعروف، فإذا أُمِر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة، هذا دينٌ وأصلٌ من أصول الديانة عند أهل السنة والجماعة، هذا الأصل اليوم صار منكرًا عند الناس، وصار مجهولًا، وصار الناس ضده، يأمرون بضده، ويُرَبُّون الأجيال على ضده، على التمرد على ولاة الأمور، على التمرد على أحكام الشريعة بأنواع الحيل والتأويلات الباطلة، حتى يُقَرَّ الشرك الأكبر والكفر الأكبر، فيُطاع للديمقراطية والدستور، ولا يُطاع لله ولا لرسوله ولا لأئمة المسلمين من العلماء والأمراء، انظروا كيف العجائب والمفارقات.

وهذا مما يبين غربة الإسلام، فالإسلام غريب بين أهله.

ولذلك قال بعض أهل العلم: **أَمَا إنَّ أهل الإسلام لا يقلون بل يكثرون، ولكن أهل السنة يقلون.**

وقد تحقق هذا، فانظر في أصلٍ من أصول الديانة الآن، صار سخرية مَنْ يَذْكُرُه، ومن يوصي به، ومن يستقيم عليه، صار سخرية للناس، ويوصف بالأوصاف البذيئة، ويوصف بالمداهنة، ويوصف بالعمالة، ويوصف ويوصف، وإذا كان الذين يعتنون بهذا الأصل ويستقيمون عليه عملاء لمَنْ أَمَرَ الله ﷻ بالسمع والطاعة له، فنعمَّا ذلك نعم ذلك، لكن هؤلاء عملاء لليهود والنصارى والمجوس وأشباههم، فقاموا مقامهم في حرب الإسلام، وحرب أهل الإسلام، والتَّنكُّر لمذهب أهل السنة والجماعة.

الثاني: الجهاد.

يأمر النبي ﷺ بالجهاد: «**جاهدوا المشركين بألسنتكم، وأيديكم، وأموالكم**».

وجاءت النصوص كثيرة بالجهاد، بَذْلُ الجَهْد لأعلاء كلمة الله، أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

فالجهاد بذل الجهد في هذا، بأن تشتغل وتدعو إلى الله بلسانك، وتُعين على الدعوة، وتَستميل الناس للحق بمالك إذا كُنْتَ ذا مالٍ وسعةٍ، وبكتابك وتأليفك إذا كنت من أهل العلم والبيان، تُبين الحق وتُزيل الشبهات، فكل هذا جهاد، وبالقتال في سبيل الله إذا تيسرت أسبابه، إذا دعا إليه ولي الأمر العام، وإذا قضته الحال، وإذا قُدِر عليه، وإذا ترجحت المصلحة وصارت أكبر من المفسدة، فتجاهد، والجهاد قتال الكفار، هذا رأس الجهاد قتال الكفار.

ولكن الجهاد أنواعٌ، فتجاهد بحسب حالك، أحدٌ يجاهد بكلامه وقلمه وبيانه، وأحدٌ يجاهد بماله وجاهه، وأحدٌ يجاهد بسلطانه، وأحدٌ يجاهد بسلاحه، حسب ما تيسر له، حسب ما تقتضيه الحال، حسب ما تتحقق به المصلحة، وتُدرأ به المفسدة.

فالجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، فمن عطَّل الجهاد، أو تسبب في تعطيل الجهاد، أو هون من شأن الجهاد، فهو ظالمٌ آثمٌ متعدٍ مُحادٌّ لله ورسوله مضادٍ لله ورسوله، فالجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة إلى أن يُجَاهَد الدجال، فهذا ما أحدٌ يتعرض له، لهذا عَدَّ بعض أهل العلم الجهاد أصلًا سادسًا من أصول الإسلام، ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، فكل هذه تدخل في مسمى الجهاد، وأخص ذلك القتال في سبيل الله، بالسلاح إذا تحققت أسبابه ودواعيه، وتوفرت وسائله، وقُدِر عليه، وترجحت المصلحة فيه، فهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول الإسلام.

«**ومن لم يغزو ويحدث نفسه بالغزو، مات على شعبةٍ من النفاق**»، نعوذ بالله.

«**ومن سأل الله الشهادة بصدقٍ، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**».

والأسوة في الجهاد هو النبي ﷺ، فكان في مكة في مرحلةٍ يُجاهد ببيانه ولسانه وبيانه وصبره على أذى المشركين، ويُصَبِّر أصحابه، ويأمره الله بالصفح، والعفو، والمغفرة، والدفع بالتي هي أحسن، ولما هاجر للمدينة، واجتمع حوله المهاجرون والأنصار، وكُتُبت الاتفاقيات فيما بينهم وبين العرب مسلمهم ومشركهم، وما بين أهل المدينة واليهود، وتهيأت الأسباب، أذن الله ﷻ للنبي ﷺ بالجهاد بالسلاح تدريجيًّا، تُدُرِّج في هذا: فأول شيءٍ أن يُقاتل من قَاتَله، ثم انتهى الأمر أن يُقاتل حتى يكون الدين كله لله، يُقاتل المشركين كافة، لما قوي وقدر وتهيأت له الأسباب والوسائل.

فالجهاد فريضةٌ من فرائض الله، وشريعة من شرائع الله، وليس كما يقولون: الجهاد دفاعٌ فقط، لا الجهاد ابتداءً؛ لهداية الخلق إلى الحق والتزاما بالحق، فالدين واضحٌ موافقٌ للفطرة، وحججه ظاهرة، وبراهينه ساطعة، والفطرة السليمة تقبله، والعاقل المُنْصف يعرفه ويقبله إذا سمعه.

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، فإذا تبين الرشد من الغي ولم يقبل، فإنه يُلْزَم بمصلحة نفسه، وبما يُسعده في الدنيا والآخرة، ولهذا قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] كنتم خير الناس للناس، وأنفع الناس بالناس، تجرونهم بالسلاسل يعني أسرى في سبيل الله، وتُدخلونهم الجنة.

فالجهاد فريضةٌ وشريعةٌ بجميع أنواعه:

أولها: الدعوة إلى الله ﷻ للخاص والعام.

وثانيه: الاحتساب الإلزام لِمَنْ له سلطةٌ، الإلزام بفعل الواجب الذي تركه إذا ظَهَرَ تركه، وترك المُحَرَّم الذي ظهر فعله، وهذا من اختصاص السلطان ونوابه، وكل ذي سلطةٍ في المجتمع المسلم في حدود سلطته، وما تتحقق به المصلحة، وتُدفع به الفتنة.

وأعلاه وذروته: القتال في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

فأولًا البيان وهو الحكمة: ذِكْرُ الدليل لمن خفي عليه الدليل، وإذا ظَهَرَ له الدليل قبله، الذي يجهل هذا الشيء وهو سليم الفطرة، فإذا بُيِّن له الحق بدليله قَبِله، فهذا يُدعى

بالحكمة، وهذه أول مراتب الدعوة، يعني بالبيان، ذكر الدليل من الكتاب والسنة، ومن كلام السلف الصالح من الأمة، أئمة الهدى، وأعلام الملة، فهذا الصنف من الناس يكفيه الدليل، لا تزيد عليه.

وآخر عنده نوع شهوةٍ، يعرف الحق لكن تركه، لشهوةٍ في نفسه، فهذا يُدْعَى بالموعظة الحسنة، بالترغيب بالحق، بِذِكْر فضائله، وعِظَم المثوبة عليه، وحُسْن عاقبة صاحبه في الدنيا والآخرة، بالترهيب بذكر عقاب الإصرار على الباطل، والمَثُلَات التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ في المكذبين، وسُنَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيمن عصاه، وشؤم المعاصي على صاحبها في الدنيا والآخرة، فيكون مع البيان ترغيبٌ وترهيبٌ؛ لأن هذا يُرقق القلوب، ويُنَقِّي الصدور من الغل، ويُطيِّب النفوس، ويُوقظ الفطرة، فيكون مع البيان ترغيبٌ وترهيبٌ.

الثالثة من الجهاد: المجادلة بالتي هي أحسن لمن عنده شبهةٌ، للمُسلم المتأول مثل أهل البدع أو غيرهم، أو فاسقٍ مُتجَرِّأً يتأوَّل النصوص على غير وجهها، أو من أهل الكتاب ممن ينتسب لأهل الكتاب من اليهود والنصارى عندهم شبهاتٌ في كتبهم المحرفة المُبَدَّلة المنسوخة، فهذا يُجادَل بالتي هي أحسن، ويُستمع إليه، وتُسْتَلّ الشبهة من صدره، وترد بالبيان الواضح الجلي، حتى ينشرح صدره وينقاد للحق، فهذا الصنف الثالث من الناس.

فالأول الذي يُدعى بالحكمة وهو عامة الناس وهو الأصل.

والثاني الذي يُدعى بالموعظة الحسنة وهو من عنده شهوة.

والثالث من يُدعى بالمجادلة بالتي هي أحسن، ومن عنده نوع شُبْهَةٍ.

طيب الرابع: من يُجَادَل بالأَسِنَّة والسلاح إذا قُدِر عليه.

فالآية الاولى ذكرت الثلاثة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، كما قال النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إنك تقدم على قوم أهل

كتاب، فليكن أول ما تدعوهم شهادة أن لا إله إلا الله أن محمدًا رسول الله، فعلمه النبي ﷺ عن حالهم، ليستعد ويتهيأ لمناظرتهم.

والآية التي في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، هذا الجزء موافق للآية الأولى، والثانية قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ ، الذين ظلموا منهم إذا قدرتم جاهدوهم بالأسنة، وأرغموا أُنُوفهم، وجُرُّوهم أسرى، وهذا ما فعله النبي ﷺ في قبائل اليهود الذين نقضوا العهد ونكثوا، وتآمروا مع المنافقين، ومع أهل الشرك على أهل الإسلام، فإن النبي ﷺ تَتَبَّعهم قبيلةً قبيلةً، وقاتلهم حتى حَكَمَ الله ﷻ له بالنصر عليهم، فمِنهم من قَتَلَهُم، ومنهم من أجلاهم، ومنهم من أبقاهم لمصلحة الإسلام ما شاء الله.

هذا فِعْلُه ﷺ، وهذا جهاده ﷺ، فالجهاد ما هو بهوى، والجهاد ما هو بذريعةٍ لتحقيق الأهواء ووسيلة، لأ؛ الجهاد عند المسلمين بمثابة الجَرَّافَة التي يُمَهَّدُ بها ما استوعر من الطريق، فيُستعمل عند الحاجة إليه، وإذا استغني عنه بما دونه يُكتفى بما دونه، فلا بد أن يُفهم هذا، ولهذا النبي ﷺ كان يعرض الدعوة على الناس، مع من بلغتهم الدعوة قبل أن يقاتلهم، رجاء أن يهتدوا ويستقيموا، ما يحرص على قتال الناس وقتلهم، لأ؛ يحب أن الناس ينقادوا إلى الحق بأيسر السبل، فإذا لم ينقادوا وعاندوا وأصروا، وتجنوا على الإسلام وأهله، فهو يقابلهم بما يرضي الله ﷻ، وبما يسوؤهم ديانةً، ولهذا لم يرحم بني قريظة لما فعلوا ما فعلوا، قتل مقاتلتهم عن آخرهم، وسبى نسائهم وذراريهم، مع أنه ﷺ أرحم الخلق، لكن هؤلاء ما يستحقون الرحمة.

فعلى أي حال، الجهاد من اختصاص ولاة أمور المسلمين، إلا في أحوالٍ نادرةٍ، وهذه يُفْتَى فيها في حينها، في زمانها، وفي مكانها، ويُفتي فيها أهل العلم المَراجع في العلم، ما هم من يَدَّعي العلم، ومن ينتسب للعلم ويزعم، وهو ليس من أهله. **نعم**.

والهجرة: هي المفارقة والترك، لغةً.

وفي الشرع: هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

هذه الهجرة الواجبة، كانت فرضًا في عهد النبي ﷺ، حتى فتح الله عليه، فقال: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية**»، فكانت فرضًا على كل أحدٍ، وأخيرًا صارت فرضًا لمن يحتاج إليها، من لا يأمن على دينه من الفتنة، فيجب عليه ذلك، كما أنه لا يجوز للمسلم أن يخرج إلى ديار الكفر، إذا لم يكن عنده علمٌ يدرأ به الشبهات، وورعٌ يدرأ به الشهوات، فلا يجوز له أن يسافر إلى بلاد الكفار، كذلك المسلم في بلاد الكفار يجب عليه أن يهاجر إلى بلاد الإسلام، إذا قدر يجب عليه، إلا أن يكون في مقامه في بلاد الكفر مصلحة: الدعوة المحققة وغير ذلك من المصالح، فالهجرة لا بد منها.

ومن الهجرة: الهجرة من بلدٍ تظهر فيه البدع والأهواء، إلى بلدٍ تظهر فيه السنة والهدى، إذا كان لا يستطيع أن يثبت أمام البدع الأهواء، ويخشى على نفسه من الفتنة، أو أن الناس يغترون به أو يفتتنون به، فيجب عليه أن يهاجر إلى قدر، إلى البلاد التي تظهر فيها السنة والهدى.

وهكذا الهجرة من بلادٍ يظهر فيها الفسق والمجون والفواحش إلى بلاد يغلب عليها أو يظهر فيها الاستقامة، كل هذا فرارًا بالدين من الفتنة، حتى لا يُكَثِّر المسلم سواد أهل الشرك أو أهل البدع أو أهل الفسق، حتى لا يغتر به البسطاء من أهل الإسلام، كالنساء والأطفال والعوام، فهذه هجرة.

ومن الهجرة: أن تهجر جميع ما نهى الله عنه: الشرك والبدعة والكفر والفسق.

فتهجر الأوطان وتهجر الأبدان، إذا احتجت إلى ذلك، وتَوَقَّف الأمر عليه، وإن كان في بقائك مصلحة أو إظهارٌ للحق ونَفْعٌ للخلق، فالله يعينك، فأنت على جهادٍ وعلى تقوى.

فالهجرة من أمور من شرائع الدين، وهذا أمرٌ استهان به كثيرٌ من الناس الآن، صاروا يهاجرون هجرة عكسية: من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر، فهؤلاء على خطرٍ، من قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:٩٧] ، فهذا وعيدٌ شديدٌ، ولم يَعْذُرِ الله ﷻ إلا المستضعفين، وهذا باتفاق المُفسِّرين، الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم بترك الهجرة مع القدرة عليها والحاجة إليها، ورضوا بالإقامة في ديار المشركين، لمصالح دنيوية وغير ذلك، فهذا خطيرٌ جدًّا جدًّا، هذه هجرةٌ -والعياذ بالله- مشؤومةٌ، هجرةٌ عكسيةٌ، فلا تجوز.

فلا بد للإنسان أن يعرف معنى الهجرة، يعرف الغاية من الهجرة، والحكمة منها، يعرف من تجب عليه الهجرة، ومن تتعين عليه ومن لا تجب عليه ولا تتعين عليه، والله ﷻ لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فهذا أمرٌ أيضا لا بد من معرفته.

ومن الهجرة: أن تهجر دُعاة البدع، وأهل الأهواء، فلا تُرَى معهم، إلا في حال مُناظرتهم إذا اقتضت الحاجة عند السلطان في إقامة الحجة عليهم، أو في حال انفرادٍ لدعوتهم، واستمالتهم للحق، أما أن تظهر على الشاشات والقنوات، وتجعلهم يُلقون بالشبهات على عوام المسلمين وبُسطائهم وجُهَّالهم، هذه جريمةٌ كبيرةٌ نكراء، هذا ضلالٌ مبينٌ، فاحذر هذا، فلا تتملق لأهل البدع ولا أهل الأهواء، فإنهم دعاةٌ على باب جهنم، لا تَغُرَّ الناس فيهم، إذا كان من أهل الفضل والصلاح والتقوى، ويُحْسَنُ به الظن ويُقتدى به، ثم رُؤي مع أهل البدع والأهواء، فهذه فتنةٌ وشرٌّ للمسلمين، فاحذر من هذا، ولذلك كان أئمة الإسلام يأبون من مواجهة أهل البدع علنًا، ولا يجادلونهم إلا عند السلطان، أو في حال انفرادٍ؛ عند السلطان لإقامة الحجة عليهم، بيان ضلالهم للسلطان، حتى لا يغتر بهم، وحتى يأخذ على أيديهم، أو

في حال دعوةٍ فرديةٍ، لا يراهم أحدٌ، أما تُشْهِر أهل الأهواء، وتُصَوِّر معهم وتظهر معهم، فتتملق لهم، هذه جريمةٌ، كل مَنْ عُرِف بمخالفة السنة والجرأة عليها، وتأويل النصوص وتحميلها ما لا تحتمل، والتزلف والنفاق لأهل البدع وأهل الكفر، هذا لا تجلس معهم ولا تجالسه، ولا تذهب إليه، ولا تسعى لتوقره، فإنك تسعى لهدم الإسلام، وعلى خطرٍ أن تَفْتَتِنَ به، احذر هذا، فالهجرة أمرها عظيم.

والجماعة: لزوم الجماعة، لزوم إمام المسلمين وجماعة المسلمين، هذا دين، من دين الله ﷻ، بحيث أنك تكون مع أهل العلم الأكابر، مع ولي الأمر العام، في الأمن والخوف، في المنشط والمكره، معهم على الحق، وتكره ما يأتون من معصية الله، لكن ما تفارق الجماعة، لا تفارق الصلاة في المسجد، لا تفارق وقت الأزمة والفتنة، لا تظهر بالشذوذ، احذر من هذا، فإنه من فارق الجماعة مات ميتةً الجهل، «**من فارق الجماعة قِيدَ** شبر» ولو يسير «**مات ميتة الجاهلية**»، وفي الحديث الآخر: «**خلع ربقة الإسلام من عنقه**».

وهذا أيضًا نما يُبين لك غربة الدين هذا الزمان، فإن أناسًا ممن ينتسب للدعوة والإسلام يُرَبُّون الناس على خلع ولاية ولي لأمر العام، والخروج من طاعته، نزع اليد من بيعته، يعدون هذا ديانةً وغَيْرةً، وما هو والله إلا النفاق، النفاق، والسعي في الفتنة، والتغرير بالجهال من المسلمين، والتجاوب مع أعداء الإسلام على ما يُسَبِّب الفرقة، ويجلب المحنة والشر، فهؤلاء ليسوا من دُعاة الهدى، بل دعاة الهوى، دعاةٌ على أبواب جهنم، من أطاعهم قذفوه فيها.

وانظر إلى حديثٍ واحدٍ عن رسول الله، يقول: «**ثلاث لا يغل عليهم قلب أمرئ مسلم**»، لا يجتمعن والغل في قلب المسلم: يعني إذا وُجِدْنَ ذهب الغل من قلبه، وإذا ذَهَبْنَ وُجِدَ الغل في قلبه، احكم عليه بهذا:

«إخلاص العمل لله»، هذا الأولى، إخلاص الدين لله ﷻ بما شرع.

«والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم»، النصح: حيازة الحظ للمنصوح له.

وتحقيقها بأن تدل المنصوح على خير ما تعلمه له، وتزجره وتنهاه عن شر ما تعلمه له.

وغاية ذلك وكماله أن تُحِبَّ له من الخير ما تحب لنفسك، وأن تكره له من الشر ما تكره لنفسك.

والثالثة: «لزوم جماعتهم لزوم جماعة المسلمين»، ولي الأمر العام والجماعة، لزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، يحفظهم الله ﷻ بالاجتماع، ويجعل لهم قوةً وهيبةً.

فإذا صار الإنسان لا يُخلص العمل لله فهذا مفتونٌ، وداعي فتنةٍ، وداعٍ على أبواب جهنم، إذا كان لا ينصح لأئمة المسلمين؛ وترى النصح لأئمة المسلمين قبل النصح لعامتهم؛ لأنه لا يُشفق على العامة إلا من أحسن النصح للأئمة، وإلا فالعامة كل يقدر أن ينصحهم، كل يدعي أنه ينصح ولو يغش!، فالنصح لأئمة المسلمين أول؛ ليش؟ لأنه أنفع؛ أعم نفعًا؛ لأنه بصلاح ولاة الأمور تصلح الأمة وتصلح الأحوال، لذا قدم النصح لأئمة المسلمين على النصح لجماعتهم، كلٌّ يدعي هذا، النصح للجماعة، لكن النصح للأئمة لأ، ما يدعيه إلا صادقٌ، لا يقوم به على وجهٍ شرعيٍّ إلا صادق، أما الكَذَّاب فإنه يُرائي فيه، ولأنه يُفشي السر فيه، ولأنه يُجاهر بهذا، فهو على غير هدى الشريعة.

والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم دينًا، فما ظنكم بالذي يُرَبِّي على الغش لأئمة المسلمين وعامتهم، والذي يُرَبِّي على الخروج عن جماعتهم، هل هذا داعي هدى أم داعي هوى؟

داعي هوى؛ ولذلك النبي ﷺ ذكر هذين الجانبين، قد يكون أمراء لهم هنَّاتٌ، يعني مخالفات شرعية، من الذي يقابلهم، الدعاة على أبواب جهنم، يجهرون بالدعوة، يستغلون البسطاء، ويثيرون الفتنة، قال: قلوبهم قلوب الذئاب، ويلبسون للناس مسوح الضأن من اللين، وأخبر عنهم أنهم دعاةٌ على أبواب جهنم، من أطاعهم قذفوه فيها، أهلكوه، ولذلك هؤلاء هم الذين غَرَّرُوا بشباب المسلمين حتى أوقعوهم في التكفير والتفجير والفتن والشر، وكلُّ إناءٍ بما فيه ينضح، لما أنهم رضوا بأن يتبعوا الخوارج والمعتزلة وأضرابهم ممن انحرف عن الإسلام، نضحوا بما في قلوبهم وما في صدورهم، وتسببوا في الفتنة، جَرُّوا المصائب على الإسلام وأهله، والله -تَعَالَى- بالمرصاد، فإنه وإن أمهلهم، فإنه لا يُهملهم، بل يكشفهم على رؤوس الأشهاد، وقد فعَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُفَقِّهنا في دينه، وأن يرزقنا الإخلاص لوجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما نأتي ونذر، وحسن اتباع نبيه ﷺ في كل أمرٍ، وأن يجعلنا من أئمة المتقين إلى آخر الدهر.

وفي الصحيح: «من فارق الجماعة شبرًا فميتته جاهلية».

وفيه: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم».

قال أبو العباس: كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسبٍ، أو بلدٍ، أو جنسٍ، أو مذهبٍ، أو طريقةٍ، فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجريٌّ وأنصاريٌّ، قال المهاجري: يا للمهاجرين! وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟»، وغضب لذلك غضبًا شديدًا. انتهى كلامه - رحمه الله تعالى -.

الشرح:

الحمد لله.

والمعنى أن الإنسان يحذر أن يدعو لغير الإسلام، بل يدعو إلى الإسلام، والسنة، والتوحيد.

سأل عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ في أول أمره في الدعوة قال: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**»، قال: ما نبي؟ قال: «**أرسلني الله**»، قال: بم أرسلك؟ قال: «**أن يُوَحَّد الله، وتُكْسر الأوثان، وتُوصل الأرحام**»، انظر الوضوح والصراحة والبيان، ولذلك عُرِفَ عن النبي ﷺ طيلة دعوته إلى أن توفاه الله، على أنه يدعو إلى التوحيد، يقول: «**اعبدوا الله، واتركوا ما يعبد آباءكم، يأمرهم بالصلاة والصدقة والصلة والعفاف**»، فهذه دِعَايَةُ الإسلام، هذه دعوة الإسلام.

ومن ذلك: الدعوة إلى اجتماع الكلمة، وسلامة الصدور، وصلاح ذات البين، والتعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتواصي بالمرحمة، هذه التي يدعو إليها دُعاةُ الإسلام، وأَتْبَاع السنة، أَتْبَاع النبي ﷺ على دعوته.

أما الدعوة إلى ما يخالف ذلك، فذلك كله جاهليةٌ، ونفاقٌ، فالدعوة إلى حزبٍ أو إلى جماعةٍ لها أصولٌ تخترعها، وتُعلنها، ومبادئ، أو الدعوة إلى ديموقراطية أو إلى دستورية، كل هذه دعواتٌ مستوردةٌ، كل هذه مظاهر من مظاهر النفاق، كل هذه من المُحادَّة لله ورسوله، كل هذه من أسباب تفريق الأمة، والسعاية في الفتنة بين الأمة، وإحداث الشر، فليُحْذَر هذا ولا تغتر، لا تغتر بهؤلاء، فإنهم على هوى وليسوا على هُدى، والإنسان المسلم مأمورٌ بما أمر الله به ورسوله ﷺ، أن يتبع الحق ويترك أهواء الناس، فلا يتبع أهواءهم، لا يتبع الناس على هواهم، فهذه كلها شرٌّ وفتنةٌ وضلالةٌ، وعلامةٌ على خذلان الله لمن حمل لواء الدعوة إليه، هذا جانٍ على نفسه وعلى غيره، وهذا يأتي يوم القيامة يخاصم النبي ﷺ في دعوته، وهو مخصومٌ ومفلوجٌ.

فاحذر، احذر أن تدعو إلى غير الإسلام والسنة، واحذر أن تفارق الجماعة، واحذر أن تتسبب في الفتنة، واحذر أن تُحَزِّب الناس، ولذلك النبي ﷺ أنكر على من دعا إلى القبلية أو البلد، وأخبر أن هذا من الجاهلية، من أمور الجاهلية، وعَمِلَ ﷺ على أن يُنسيهم أثرها، وفتنتها، حتى أنه لَمَّا سمعها رحل من مكانه ذلك وواصل المسير إلى آخر النهار، وأول الليل وآخر الليل، ولم يجعلهم يرتاحون، حتى سَئِمُوا من السير، فلما صاروا إذا نزلوا على أرضٍ مَسُّوا الأرض ناموا، نزل عليه ﷺ ليُنسيهم أثرها وفتنتها وشرها، لا تغتروا لمن يدعو إلى هذه الشعارات، وهذه التوجهات، بمختلف الأساليب، فهؤلاء كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢]، لكن الله ﷻ أراد أن يبتلي خلقه، له حكمةٌ في ذلك، فابتلى الله ﷻ الرسلَ -عليهم الصلاة والسلام-، وابتلى أتباع الرسل على الهُدَى بشياطين قاعدين على الطريق، يَحْرِفُون الناس عن الصراط

المستقيم، لِمَا له سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ من حكمةٍ، ومن ذلك أن يظهر الحق، ويُعْرَف فضله ويتميز.

نعم.

باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه

وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة:٢٠٨].

الشرح:

ادخلوا في الإسلام كافة، استقيموا على الإسلام، واثبتوا عليه، وادعوا إليه، واتبعوه، واستقيموا على حقائقه وعقائده، واستقيموا على أركانه ومبانيه، واستقيموا على أخلاقه وأحكامه، وجانبوا ما يُضاد ذلك ويُنافيه، أو ما يَنْقُصه ويُخل به، هذا الواجب على المسلمين، أن يستقيموا على الإسلام، على ما أمر الله به ورسوله، وأن يقيموا الناس على ذلك، يجاهدوا في ذلك، فما ثَمَّ دينٌ إلا الإسلام.

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ وانظر النتيجة ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥]، ما هو من الرابحين، من الخاسرين، والخاسرون في النار.

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ﴾ أيش؟ ﴿جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦]؛ لأنهم يدعون إلى الكفر، يدعون إلى شعب الكفر ويوقعون الناس في الكفر، فليُحذر هؤلاء؛ لأنهم أهل نفاق، وأهل أهواء، وأهل بدع، وأهل باطل، والباطل وأهله في النار. **نعم**.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء:٦٠] الآية.

الشرح:

انظر إلى دقة التعبير، ﴿يَزْعُمُونَ﴾ لأنهم منافقون ما هم مسلمون، لكنهم تلبسوا بالإسلام، ليخدعوا الناس، يزعمون أنهم مسلمون وأنهم مؤمنون، ومع ذلك يَدْعُون إلى ما يُنقص الإسلام والإيمان، وما يُضاد الإسلام والإيمان، ومع ذا كله يزعمون أنهم على الإصلاح، ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢]، يُوَفِّقون بين أهل السنة وبين الرافضة، ويُوَفِّقون بين الإسلام وبين الحضارة الغربية، ويُوَفِّقُون بين شهوات النفوس وبين السُّنن والعبادات، هذا مستحيلٌ، يُوَفِّق بين النار والماء؟، هذا غلطٌ، فهم على جهلٍ وعلى ضلالٍ، وعلى هوى، منحرفون، يكيدون للإسلام من داخله، إما لجهلهم، وإما عن قصدٍ منهم.

فلذلك الله ﷻ وصف المنافقين بأوصاف عَرَّتْهُم، وكشفت أسرارهم، وهتكت أستارهم، حتى لا يُغتر بهم، ولذلك ذَكَرَ الله ﷻ في صدر سورة البقرة ثلاثة عشر آية في وصف المنافقين، وذكر جملة آياتٍ في سورة آل عمران، وجملة آياتٍ في سورة النساء، وفي سورة الأنفال، وأكثر شيءٍ ذكر في سورة براءة سورة التوبة، وخصص سورةً باسم المنافقين، ليُحَذَّر منهم، والمنافقون ما يقولون عن أنفسهم أنهم منافقين، نحن دُعاةٌ، نحن مصلحون، إصلاحيون، يسمونهم أنفسهم إصلاحيون!، لكن التسمية ليست شيئًا، العبرة بالحقائق والمعاني، لا بالألفاظ والأقوال، فلذلك الله ﷻ بين أنهم يدعون إلى خلاف الهُدى، يدعون للهوى.

ولذلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، إيش الطاغوت؟

الطاغوت الأعراف الجاهلية، والطاغوت أحكام الكُهَّان، والطاغوت القوانين الوضعية، يُريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، ولذلك بالأمس يرفعون راية إيش؟

محاربة «شرك الحاكمية»، يتكلمون بكل وسيلةٍ وكل مجالٍ، ولَمَّا صار لهم الدور وأُعْطُوا فرصةً قَدَرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ لحكمةٍ، قالوا: لا، ديمقراطية دستور، تُوَافق الأُمَّة عليه، دستورية، قالوا: لأ، التدرج أول شيء، ما نُحَكِّم الشرع على ناسٍ ما يؤمنون به، ولا يفهمونه، يريدون يتنصلون من الدعوة، ومن تحكيم الشريعة؛ لأنهم يَدْعُون إلى عبادة الطاغوت، هم هدفهم الكرسي، ووصلوا إليه، وانتهوا وخلاص، ما لهم أمل، ما في نفوسهم مثل ما في نفس عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَوَّاقَةٌ، كلما نالت درجةً من الدنيا تاقت لِمَا هو أعلى، ولما نالت الخلافة تاقت على الجنة، لأ، هم خلاص أخلدوا إلى الأرض، خلاص الكرسي لا يهتز؛ أهم شيء، والشريعة على جانب، المهم إرضاء اليهود وإرضاء النصارى، وإرضاء الشاذين، وإرضاء الجميع اللي يسمونه: أطياف المجتمع، يضعون دستورًا تُوافقيًّا ويصير هذا الديمقراطية، والتطور والتمدن والشمولية والعدالة الاجتماعية، إلى غير ذلك من الألفاظ البراقة، المزخرفة، الرَّنانة، التي يُراد بها نصرة الباطل، ومحاربة الحق وأهله، هم من مائة سنة وزُعمائهم ومَراجعهم وَاضِعُون للقوانين الوضعية، يُشَرِّعون، ومُستشارون في القوانين الوضعية، ومُحامون في القوانين الوضعية، وقُضاةٌ في القوانين الوضعية، ودَارِسُون في الغرب، فكيف يُحَكِّمُون الشريعة وهم يجهلون الشريعة؟، وأول ما يجهلون من الشريعة التوحيد، أول شيءٍ التوحيد، وأول ما يتركون من الشريعة تعظيم السنة، وأول ما يقدحون في سند الشريعة في السلف الصالح وعلماء الملة وأئمة الأمة، هل يرجى منهم خيرٌ هؤلاء؟ لأ، لا يرجى منهم خير، لكن صدق الله إذ يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل

عمران:١٤٠]، لحكمةٍ، والضد يُظْهِر حُسْنَه الضد، فأراد الله ﷻ أن يتبين هؤلاء وينكشفوا، وتظهر سوءاتهم أمام الملأ، ويشمت أعداء الإسلام بهم، هذه النتيجة، والله له حكمةٌ، والله ناصرٌ للحق، وناصر أهله، «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي الله بأمره**»، وجولة الباطل ساعةٌ، وجولة الحق إلى قيام الساعة.

المهم: انظر إلى التعبير القرآني الدقيق يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ولهم لهم اعتراضات عليه، وإذا أردتم تعرفون الاعتراضات، انظروا إجابة على أسئلة الثورة، انظروا الرد على هذه الإجابة، وبيان ما فيها من وجوه البطلان والضلال والانحراف، حتى أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة هم يرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة يخالفونك باسم إيش؟ حتمية التغيير، ضرورة التغيير، الأمة سئمت، الأمة مَلَّت، لكن إذا قبضوا هم على الأمة: لا؛ ممنوع التغيير، ما فيه حتمية للتغيير ولا ضرورة، انظر كيف يُقلبون النصوص، يُحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يستحون، ولا يخافون من الله ﷻ، والله -تعالى- بالمرصاد، المصير إليه، والحكم له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يظلم ربك أحدًا. **نعم**.

يسعون إلى تفريق الأمة.

كل مجتمعٍ الآن: الجماعة الفلانية والحزب الفلاني، كانت الأمة مجتمعةً، وفرَّقوها بدعواتهم ودعاياتهم، عاملهم الله بعدله، وعاملهم بما يستحقون، يكذبون على الله ﷻ، ويكذبون على رسوله ﷺ، ويكذبون على أئمة الإسلام، والكذب وأهله في النار. **نعم**.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩] الآية.

الشرح:

أطياف المجتمع، لا بد من التوافقية!. **نعم**.

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ ﴾ [آل عمران:١٠٦]: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف.

لأنها اسودت قلوبهم بالهَوى، فتسود وجوههم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد. **نعم**.

عن عبد الله بن عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمة علانية كان»

ومن ذلك: وُجود الدعاة إلى الفرقة، والفتنة، والشر، ومخالفة السنة، ووجد هذا. **نعم**.

«حتى إن كان منهم من أتى أمة علانية كان في أمتي من يصنع ذلك».

والمعنى: احذروا من هؤلاء الدعاة، لا تغتروا بهم، ولا تتبعوهم؛ لأنهم يضلونكم، ويهلكونكم، ويشقونكم دنيًا وآخرة. **نعم**.

«وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

يعني ما عليه أهل السنة والجماعة هو الحق، وهو دين الله عَزَّوَجَلَّ، فتَعَرَّف على هذه الطائفة المنصورة، وكن من أهلها واقتدي بها، وانضم إليها، واحذر من خالفها، وما خالفها به. **نعم**.

فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله، كلام الصادق المصدوق في هذا المقام، خصوصًا قوله: «ما أنا عليه وأصحابي»، يا لها موعظةٍ لو وافقت من القلوب حياة، رواه الترمذي.

ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار.

وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود وفيه: «إنه سيخرج من أمتي قوم تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، فلا يبقى منه عِرْقٌ ولا مفصل إلا دخله».

وقد تقدم قوله: ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية.

بركة.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه

المجلس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اغفر لنا، ولشيخنا، والحاضرين.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في كتابه فضل الإسلام:

باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر

لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [الأنعام:١٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥].

وفي الصحيح أنه ﷺ قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»، وفيه أنه نهى عن قتل أمراء الجَوْر ما صَلُّوا.

عن جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رجلاً تصدق بصدقة ثم تتابع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فالبدعة: أصلها في **اللغة**: ما أُحْدِث على غير مثالٍ سَبَق.

وهذه ما تسمى البدعة اللغوية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة:١١٧]، يعني الذي خلق السماوات والأرض على غير مثالٍ سَبَق، فأبدعهما، وأَحْسَن صنعهما، وأتقن صنعهما.

وفي **الاصطلاح**: هي ما أُحْدِث في الدين.

ولذلك يقول بعض الفقهاء: هي طريقةٌ في الدين مخترعةٌ، يُضاهي بها صاحبها السنة.

قد تكون البدعة في الاعتقاد، وقد تكون في القول، وقد تكون في العمل، وقد تكون في الحال، ولذا قال ﷺ: «**فإن كل محدثة بدعة كل محدثة في الدين، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**».

فتضمن الشرع قواعد عظيمة يُحْفَظ بها الدين، ويُثبت بها المسلمون، وتَقْصم ظهور أهل البدع، ومن هذه القواعد: جملةُ عقائد:

العقيدة الأولى:

الاعتقاد بأن الله عز وجل كَمَّل الدين، فلا نقص فيه من وجهٍ من الوجوه، فهذه تَقصم ظهر المبتدع في أصل الدين، ما دام الدين كاملًا فلا تُحْدِث فيه شيئًا؛ لا زيادة ولا نقصان.

ومن هذه القواعد أو العقائد العواصم لأهل الإسلام والقواصم لأهل البدع: أن الدين قد بُلِّغ بكماله، فما مات النبي ﷺ حتى بلغ الدين كله، لم يكتم منه شيئًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قالت عائشة – رضي الله عنها –: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الدين، فقد أعظم الفرية، ثم قرأت: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [الأحزاب:٣٧]، فالدين قد بُلِّغ، ما تُرِك منه شيءٌ.

كذلك من هذه العقائد العواصم لأهل الحق والقواصم لأهل البدع:

الاعتقاد بأن الدين قد بُيِّن، بَيَّنه النبي ﷺ قولًا، وفعلًا، وحالًا، وتقريرًا لِمَا عُمِل بحضرته في زمانه، موافقًا ما جاء به، وإنكارًا لما فُعِل بحضرته أو في زمانه مخالفًا ما جاء به، وبيان وجه الصواب فيه، فلا يَحتاج إلى تفسيرٍ جديدٍ، ولا يَحتاج إلى ادِّعاء معانٍ لم تُؤْثَر عن السلف الصالح.

كذلك من العقائد التي هي عواصم لأهل الحق وقواصم لأهل الباطل والبدع:

أن الدين محفوظ بحِفْظ الله ﷻ إلى أن يأتي الله بأمره.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، فالذكر هو كلام الله –جَلَّ وَعَلَا–، وسنة رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:٤٤]، فهو محفوظٌ بحِفْظ الله، محفوظ من التبديل أو التغيير، فما يُبَدِّل أحدٌ أو يُغير إلا قيض الله ﷻ من يرد ضلالته، ويُنبه على بدعته، ويحذر الناس منه.

وكذلك من العقائد التي هي عواصم لأهل الحق وقواصم لأهل البدع والباطل:

أن الدين محفوظٌ عَمَلًا إلى أن يأتي الله بأمره، محفوظ بالعمل به إلى أن يأتي الله بأمره.

كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي الله بأمره**».

وهكذا قوله ﷺ: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**».

وهذه الطائفة هم أهل السنة والجماعة، فإن الله ﷻ قد حَفِظ بهم الدين، وأقام بهم الملة، وأغاظ بهم أهل الكفر والبدعة، فهم الآن أهل الأَثَر الحديث، أهل الاتِّباع للسلف الصالح.

فهذه عقائد تَواطأت عليها نصوص الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح من الأمة، وهي:

اعتقاد كمال الدين، واعتقاد تبليغ الدين، واعتقاد تبيين الدين، واعتقاد العمل بالدين، واعتقاد حفظ الدين، خمس عقائد؛ عواصم لأهل الحق من الزيغ والضلالة والانحراف، والتأثر بأهل البدع، وقواصم لظهور أهل البدع؛ لأنها تُلقمهم الحجارة، من عَلِم هذه العقائد واعتقدها، ما يُؤَثِّرون عليه أهل البدع.

أقل واحدٍ من عامة المسلمين إذا استدل له مُبتدعٌ بدليلٍ من القرآن والسنة فيُجيبه جوابًا مُرَكزًا حاذقًا حازمًا: والله، نصوص الكتاب والسنة أنا أعلم أنها حقٌّ، لكن استدلالك بها على ما تقول ما أفهمه أنا، أحتاج أن أُراجع أهل العلم، وأشوف استدلالك هو صحيحٌ ولا لأ، أي عاميٍ في جميع أقطار الأرض إذا كان عاقلًا وعزيزٌ عليه دينه، يقول هذا الكلام.

والله، هذه النصوص التي تستدل بها حقٌّ، قرآنٌ وحديثٌ، لكن استدلالك ما أدري هو صحيحٌ ولا لأ، يصير يقف موقف حازم، ما يقبل، ولا يتأثر، ولا ينساق معهم، ولا يستطيع المبتدع أن يُقنعه نهائيًا.

فلذلك ينبغي للإنسان أن يُعْنَى بتحري السنة، وما عليه السلف الصالح، فيتعلم ذلك ويعمل به؛ حتى يكون مما يَسُنُّ في الإسلام سنةً حسنةً، والذي يسن في الإسلام سنةً حسنةً ما هو الذي يبتدع في الإسلام، لأ؛ الذي يُحْيي ما اندثر، وما جهله الناس وتركوه لجهلهم به، فهذا هي الذي يَسن في الإسلام سنةً حسنةً؛ لأن الإسلام كامل أصلًا، لكن هو يُحيي ما اندثر وما هُجر من السنن، وفي نفس الوقت يَسبق إلى العمل بالسنن، ونَشْر السنن، فيُتبع على

ذلك؛ فيؤجر، وله مثل أجور من تبعه، من غير أن يُنقص من أجورهم شيءٌ أو من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

وأشأم الناس على نفسه وعلى من حوله: المبتدع، الذي يُحْدِث في دين الله طريقةً مخترعةً يستحسنها، ولذلك يقول أهل العلم: إن صاحب البدعة لا تُقبل له توبةٌ، يعني من شؤم البدعة أنه لا يُوَفَّق صاحبه على التوبة، ليش؟

لأن المبتدع يرى طريقته حَسَنَةً وأنها دينٌ، فكيف يتوب مما يعتقده دينًا وحسنًا؛ فلذلك لا يوفق صاحبها للتوبة.

ولذلك يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من استحسن فقد شَرَع.

يعني من استحسن بعقله فقد شرع، وكل البدع مبناها على الاستحسان وتزيين الشيطان، ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا ﴾ [فاطر:٨] ، زَيَّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون.

ولذلك ترون أن كثيرًا من البدع والقُبور التي تُعبد كلها تُنسب إلى رؤىً مناميةٍ شيطانيةٍ، أو أفكار أهل الهواء، من المنافقين أو الجهال، أو من السياسات الجائرة، سياسات الملوك ووُلَاة الأمر الجائرة.

لكن الفَرْق بين المبتدع وولي الأمر الجائر ظَاهِرٌ:

فالمبتدع يَعُدُّ إِحْدَاثه دينًا، ويُغري الناس باتباعه عليه.

والحاكم الجائر لا يعد جوره دينًا، يقول: هذا رأيي، هذه سياستي، والناس يتحفظون من الوالي الجائر أشد مما يتحفظون من العابد الجاهل والمنافق وصاحب الهوى، فلذلك أمر النبي ﷺ بقَتْل الخوارج؛ لأنهم أول من ابْتَدع من الأمة، حتى أدت بهم بدعتهم إلى قَتْل أهل الإسلام، وترك أهل الأوثان، وحتى صاروا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقرؤون القرآن يحسنون تلاوته، ولا يعملون به، يجورون به، وهم أول من طَعَنَ في سنة النبي ﷺ،

أول طائفة طعنت في السنة هم الخوارج، فأمر النبي ﷺ بقتلهم مع شدة تعبدهم، ومع ما يكون منهم في الغالب من الزهادة، والكرم، والشجاعة، فالخوارج الأوائل كانوا كذلك: فيهم زهادة في الدنيا، وفيهم كرم، وفيهم شجاعة، وفيهم عبادة، يَبعدون عن المعاصي وكبائر الذنوب، لانهم يرونها كبائر، ومع ذلك أمر النبي ﷺ بقتلهم، لعِظَم شرهم وشؤمهم على الدين وعلى الأمة، وأمر النبي ﷺ بالصبر على ولاة الجور، وألا يُقاتلوا إلا إذا تَركوا الصلاة، فعلوا كفرًا بواحًا، ومع ذلك أيضًا لا يُقاتلوا إلا إذا قُدِر عليهم، وترجحت المصلحة في النتيجة، فإذا كان الراجح المفسدة، لا يجوز حتى الخروج عليهم ولو جارهم، يصبرون ويَحْبِسُهُم الله بالموت، فيَحبس الله هذا الجور بالموت.

ولذلك قال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الذين يخرجون على ولاة الأمر أنهم اتَّكَلُوا على السيوف فوكلهم الله إليها، ولو صبروا لحبس الله عنهم، يعني الولاة بالموت، لحبس الله عنهم بالموت.

فدل ذلك على شؤم البدعة، وأنها أحب إلى الشيطان من المعصية ومن الكبيرة، ليش؟ لأن المبتدع يَستحسن عملَه دينًا، فلا يتوب منه، لأنه يدعو إليه ويضل الناس به، ولأن الناس يغترون به، بما قد يُظهره من الزهادة والتنسك، فالفتنة به أشد من الفتنة بالولاة، ولاة الجور والفساق. **نعم**.

وله مثله من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ولفظه: «من دعا إلى هدى»، ثم قال: «ومن دعا إلى ضلالة».

الشرح:

«من دعا إلى هدى، فله مثل أجور من تبعه، من غير أن ينقص ذلك من أجورهم، ومن دعا إلى ضلالة، فعليه مثل وزر من تبعه، ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا».

وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «**من دلّ على هدى، كان له مثل أجر فاعله**».

فكن عَلَمًا للسنة، وسباقًا إلى السنة، وهاديًا إلى السنة، تُفلح وتربح؛ لأن هذه التجارة الرابحة التي لن تبور، واحذر أن تكون داعية بدعةٍ، واحذر أن تكون من دعاة منازعة ولاة الأمر على غير ما توجبه الشريعة، هذا أول شيءٍ.

ومن علامات أهل الجور: التلون، والتقلب، يلبسون للناس مسوح الضأن من اللين، وقُلُوبهم قلوب الذئاب، وفي الحديث الآخر: «**أنهم ذئابٌ في جثمان بشر**».

لما ذكر ﷺ ولاة الجور الذين يكون لهم هَنَّاتٌ، ذَكَرَ مَنْ يُعارضهم، وأنهم دعاةٌ على أبواب جهنم، من أطاعهم قذفوه فيها، ثم وصفهم بهذا الوصف، أنهم ذئابٌ في جثمان بشر، يلبسون للناس مسوح الضأن يعني جلود الضأن من اللين، وقلوبهم قلوب الذئاب، فانتبه لهذا.

فمن صفة أهل البدع ودعاة النار: التلون، ومن ذلك التقلب والتأويل، اليوم يُفتون بشيءٍ، وغدًا يُفتون بضده، ويُبررون فتاواهم بالرأي، والقياس، لا بالدليل، والأثر.

ومن ذلك: التلون حتى بمظاهرهم، في وجوههم، في ثيابهم، في لباسهم، تجد كل واحدٍ في مكانٍ له هيئةٌ غير الأخرى، مرةً يَتَشَبَّه بالفُساق، ومرة يتشبه بالكفار، ومرة يتشبه بالسفهاء،

تجده مرةً كأنه شابٌ مراهقٌ، وأخرى تجده كأنه كافر، لباسه لباس كافر، وثالثة تجده من أهل الفسق، مظهره مظهر أهل فسق، هذا التلون.

فهذه من أماراتهم، خطيرة جدًّا، واليوم كثيرةٌ جدًّا؛ تجد فتاواهم وآرائهم مثل مهب الريح، كل مرةٍ في اتجاه، مرة هكذا ومرة عكس، مرة كذا، ومرة كذا، فهذه سيماهم.

سبحان الله العظيم **من الأمور المُلفتة جدًّا**: أن النبي ﷺ ذَكَر جملة الفتن، وأنها تأتي من المشرق، جملة الفتن تأتي من المشرق، وذكر فتنةً واحدةً تأتي من المغرب، جعل من علاماتها أن الناس يموجون فيها كما يموج البحر، كالمظاهرات هذه، ترى الشوارع كأنها وُديان، ومن ذلك من علاماتها: أنها ترتفع فيها الأصوات: الشعارات والأصوات، ومن ذلك أنها تظهر فيها النساء، ومن ذلك أنها تنتهي بإسقاط الوِلاية، أو مُضايقة الولاية، فِتنةُ المجتمع، ومن ذلك: أن دعاتها يتلونون.

فجاءت عدة أحاديث في هذا، تنطبق على هذه الفتنة التي صارت، التي يسمونها الربيع العربي، وهو الربيع الغربي؛ لأنه هو ربيع أهل الكُفْر؛ لأنهم فتنوا أهل الإسلام أعظم فتنةٍ.

ومن ذلك: أنه لا يدري القاتل فيما قتل، والمقتول فيما قُتِلَ.

ومن ذلك: أن أحدهم يبيع دينه بعرض من الدنيا، يصبح مؤمنا ويمسي كافرا، ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا، يبيع دينه بعرض من الدنيا.

قال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول هؤلاء قال: والله لقد رأيناهم، يبيع أحدهم دينه بثمر العنز.

نعم.

باب ما جاء أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة

هذا مرويٌّ من حديث أنس، ومن مراسيل الحسن.

الشرح:

من علامات البدع أو أهل البدع في آخر الزمان: أن أحدهم يجتهد أن يَتَّبِعه الناس، فيَذْكُر لهم الحق، وشِبه الحق، فلا يتبعونه، فيقول: ما أراهم مُتَّبِعِيَّ حتى أبتدع لهم بدعة، فيبتدع لهم بدعةً فيتبعونه، ويكثر أتباعه، ويفتخر بكثرة الأتباع.

وهذه من أمور الجاهلية التي نص عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - ، أنهم يعرفون الشيء بكثرة الأتباع، يعتقدونه حقًّا لكثرة الاتباع، لا لموافقته الدليل، فهذا يقيس نجاحه في دعوته بكثرة الأتباع وموافقة الجماهير، هذا عنوان ضلالةٍ، وعلامة البدعة، يبتدع لهم حتى يتبعهم، وينسى هذا أن النبي ﷺ قال: «**عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرهيط**»، الرهط أقرب للعشرة، والرهيط أقرب للثلاثة، «**والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرجل ، والنبي ليس معه أحدٌ**»، وأن أكثر الناس أتباع المَلَأ المستكبرين، والدجالين، فمُدَّعُوا النبوة تَبِعَهُم خَلْقٌ كثيرٌ، مدعوا الإلهية تبعهم خلقٌ كثيرٌ، وأكثر الخلق يتبعون الدجال في زمانه، فكيف يكون عاقل ينتسب إلى العلم وأهل العلم، ويجعل الميزان في نجاحه كثرة الأتباع!، هذا خللٌ في الموازين، وخللٌ في الفهم، هذا نقصٌ في العقل، ونقصٌ في العلم، والفهم عن الله ورسوله.

ولذلك تراهم وَدُّوا بأي شيءٍ يُلفت النظر إليهم، مرةً يسبح بالبحر، ومرةً ينزل تحت شجرة، ومرةً يطلع فوق، ومرةً ينزل تحت، ومرةً يلبس كذا، ومرةً يخلع كذا، ومرةً يحمل طفل، ومرةً يكون جنب امرأة، فأَهَمُّ شيءٍ لَفْتُ النظر وإرضاء الجماهير الغوغاء.

ومن ذلك -ما يسمونه الآن-: التحاكم إلى الشارع، التحاكم إلى الشارع متى كان طريق حق، يعني التحاكم إلى الغوغاء.

التحاكم إلى الكتاب والسنة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، ثم قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ [النساء:٦٠] ، فتَعْجَب أن أحدًا من أهل العلم والإيمان يزعم أن التحاكم يكون إلى الشارع، أو إلى صناديق الاقتراع -كما يقولون-، فهذا ما هو بصحيحٍ، هذه موازين جاهلية، هذه مستورداتٌ غربيةٌ، هذه وسائل تُحقق بها أهواء النفوس، ويُخدع بها العوام.

فالحذر الحذر من هؤلاء، فإذا كانوا هم ضَلُّوا، فكيف يكون تابعهم! يكون أضل منهم، فهذه خطيرةٌ جدًّا يعني، فالإنسان يحذر. **نعم**.

وذَكَر ابن وضاحٍ، عن أيوب قال: كان عندنا رجلٌ يرى رأيًا فتركه، فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أَشَعَرْتَ أن فلانًا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ إنَّ آخر الحديث أشد عليهم من أوله: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون إليه».

الشرح:

وهذا قاله ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قبل ابن سيرين، قيل له: أرأيت فلانًا ترك مقالته التي كان عليها، فقال: إلى شِرٍّ منها، قالوا: سبحان الله! نقول لك: ترك مقالته التي كان عليها، وتقول: إلى شرٍّ منهم، قال: نعم، إن أهل الأهواء لا يخرجون من شرٍّ إلا وقعوا فيما هو أشرُّ منه، ليش؟

لأن الميزان هو الهوى، ما هو ميزانهم الشرع.

وانظر لاستدلال ابن سيرين رَحِمَهُٱللَّهُ، يقول: النبي ﷺ يقول: «**يخرجون من الدين، ثم لا يرجعون**»، خلاص.

وهذا من أدلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ في تكفير الخوارج، فإنَّه رَجَّح الرأي الثاني: أن الخوارج كفار، مستدلًا بهذه الزيادة هذه الجملة: «**ثم لا يرجعون إليه**».

والقول الثاني: أنهم من أهل الأهواء، من أهل الوعيد، أرادوا الحق وأخطأوا طريقه. **نعم**.

وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: لا يُوَفَّق للتوبة .

الشرح:

يعني صاحب البدعة لا يوفق للتوبة، ليش؟

لأنه يستحسن؛ لأنه تعبد لله بهواه، واستحسن ما هويه، فكيف يتوب مما يراه حسنًا؟!

كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر:٨]، يعني احذرهم، وارقبهم، انظر كيف، فلذلك: في الجملة لا يوفقون إلى التوبة، إلا من ترك هواه، واتبع شرع مولاه.

اللهم اهدنا فيمن هديت، اللهم جبنا مضلات الفتن.

ولذا قال بعض السلف: إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم السنن أن يحفظوها، فقاسوا بها رأيهم. **نعم**.

باب: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [آل عمران:٦٥] إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧].

وقوله: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة:١٣٠].

وفيه حديث الخوارج، وقد تقدم في الصحيح.

وفيه أنه ﷺ قال: «إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنما أوليائي المتقون».

وفيه أيضًا عن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال آخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، فقال ﷺ: «لكنني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة، قيل فيه هذا الكلام الغليظ، وسُمِّي فِعْلُه رُغوبًا عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟

الشرح:

فالأمر خطير.

ولذلك الله ﷻ رد على اليهود والنصارى، اليهود والنصارى ضالون عن الحق، مُضِلُّون للناس عنه، في زمن النبي ﷺ وقبله، ومع ذلك قالوا ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ﴾ قال تعالى: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾

[البقرة:١١١] ، هذا زعمهم أنهم على الحق، وهم أهل الجنة، وأنه لا يدخل الجنة إلا من اتبعهم!، طيب إيش المناسبة ذكر هذا؟

لأن أهل البدع وأهل الأحزاب والجماعات الآن كلٌّ له منهجٌ وطريقةٌ، ويرى أنه هو المصيب، وأن غيره مُخطئٌ، وأنه لا يُصيب حتى يتبعه، ويُرَتِّبون على ما هم عليه من أصول المذهب والطريقة والجماعة ولاءً وبراءً، ولا يتوبون من هذا، يعني يهون عن المرأة أن تَسُبَّه وتسب والديه ولا تسب الطريقة أو الجماعة التي ينتسب إليها، ولا يستطيع الخروج منها، ولو خرج عاملوه أشد مما يُعامل المرتد عن الإسلام!.

فهؤلاء تبعٌ لليهود والنصارى، الذين قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، وكلهم -اليهود والنصارى ومشركوا العرب- انتسبوا إلى إبراهيم، مع أنهم يخالفونه، إبراهيم داعية التوحيد وخليل الله ﷻ، وهم يُشركون، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]، وقالت العرب: الملائكة بنات الله، فهم يشركون، ويزعمون أنهم على الطريقة المُثْلى، وأن من لم يتبع طريقتهم فهو ضالٌّ، ولذلك أكذبهم الله وردَّ عليهم: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧] ، وقال: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة:١٣٠] ، لا أحد يرغب في أن يسفه نفسه، وأنتم رغبتم عن ملة إبراهيم فسَفِهْتُم أنفسكم، رد الله عليهم ردًّا بليغًا مفحمًا، وقال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ [آل عمران:٦٨] ، في زمانه وبعد زمانه على التوحيد، يعني كل الرسل بعد إبراهيم تبعٌ له في الملة والاعتقاد، ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [آل عمران:٦٨] محمد ﷺ وأصحابه وأتباعه.

ففَصَل الله عَزَّ وَجَلَّ؛ بَيَّن من هم أهل الحق، وأنهم أتباع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأتباع النبي ﷺ، ومن سواهم على الباطل، قال لهم: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾ [آل عمران:٦٦]، يعني في دينكم وفي بعض الأمور من أحكام شريعتكم، فمُمْكن هذا يُقبل يعني، لكن تُجادلون فيما ليس لكم به علم؛ في إبراهيم! كيف تجادلون وأنتم ما عندكم حجة؟! لأن اليهود زعموه يهوديًّا، والنصارى زعموه نصرانيًّا، فقال: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا ﴾، فأفحمهم -جل وعلا-، وجَلَّى الحق وأبطل الباطل.

وهكذا كل من انحرف عن الحق يزعم أن طريقته أهدى سبيلًا، وأنه هو على الحق، ومن خالفه على الباطل، وقد قال ﷺ: «**لتتبعن سَنَن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب؛ لدخلتموه**»، فاحذر أن تتبع اليهود والنصارى، احذر أن تكون من أهل البدع؛ لأنك إذا ابتدعت في دين الله كُنْتَ من أتباع اليهود والنصارى، الذين غيروا وبدلوا دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [آل عمران: ١٠٠- ١٠١].

اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت **نعم**.

باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾

قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢].

الشرح:

يعني إقامة الوجه: الاستقامة على التوحيد، على ملة إبراهيم، على ديانة نبينا ﷺ، وَجِّه وجهك لله ﷻ، فكان النبي ﷺ يستفتح الصلاة بقوله: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. **نعم**.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣].

يعني اتبع إبراهيم على ملته، لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة:١٣٠] ، وكان من دعاء النبي ﷺ يوميًّا في الصباح والمساء: أصبحنا -وفي المساء يقول: أمسينا- على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين. **نعم**.

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبيٍّ وُلاةً من النبيين، وإن وليي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي»، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٦٨]. رواه الترمذي.

الشرح:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾ أقرب الناس إليهم ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ ﴾ لشرككم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آلهتكم المعبودة الباطلة ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾، فهذه الأسوة، ولهذا قال -تَعَالَىٰ- للنبي ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل:١٢٣]، يعني تأس بإبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في إخلاص الدين لله عَزَّوَجَلَّ، والاستقامة على ما شرع الله له. **نعم.**

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

الشرح:

لأن القلوب هي محل القصد والنية، والتعظيم والإجلال، والخوف، والرغبة والرهبة، هذه أعمال القلوب، مبنيةٌ على العلوم الصحيحة لنا، فمن عَرَف الله عَزَّوَجَلَّ حق معرفته خشيه حق خشيته، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

فالله ينظر للقلوب، لما فيها من التوحيد، والولاء لله ولرسوله، والبراء من الشرك وأهله، وما فيها من الحب والبغض، الحب للحق والرغبة فيه والميل إليه، وكره الباطل والصَّدّ عنه والنهي عنه وكراهة أهله، هذا هو الذي ينظر الله له.

وهكذا الأعمال هل هي تكون في باطنها مقصودًا بها وجه الله -جَلَّ وَعَلَا- مخلصة، فيقبلها الله عَزَّوَجَلَّ، ويُثيب عليها أحسن الجزاء؟، وهل هي موافقة للشريعة في ظاهرها؟

لا بد من الأمرين:

أن يخلص لله عَزَّوَجَلَّ من حيث القصد والنية، وأن تُوافق الشرع من حيث أصل المشروعية، والأداء والكيفية.

فما كان خالصًا لله -تَعَالَى- في القصد والنية، وما يترتب على ذلك، وما وافق للشرع في أصل المشروعية الأداء والكيفية، قبله الله وأثاب عليه، وأحسن إلى صاحبه، وما كان في ضد ذلك رده الله عَزَّوَجَلَّ، وأبغض صاحبه، وجعله أهلًا لعقوبته. **نعم**.

ولهما عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض...».

الشرح:

يعني أنا سابقكم إلى الحوض، والفرط السابق، بمعنى أنا قدامكم، فاستقيموا على سنتي حتى تلقوني، لِتَرِدُوا حوضي، وأشفع لكم، ومن مَالَ عن السنة يُطرد ويُذاد عن الحوض، بالردة عن الإسلام، أو الإحداث فيه، أو هَجْر شيءٍ من أركانه وواجباته، كل هذا إحداثٌ، وكل هذا نتيجته أنه يذاد ويطرد عن الحوض كما تذاد وتطرد الإبل العطاش يوم القيامة - والعياذ بالله -.

طيب قوله ﷺ: «**أنا فرطكم**»، يعني سابقكم، يعني أموت قبلكم، وقد مات النبي ﷺ قبل جملة أصحابه، ولا لأ؟ إي نعم، قبل الأمة.

وسمعتم في الخطبة الحديث: «**أن الله إذا أراد بأمةٍ الخير قبض نبيها قبلها**»، فجعله فرطًا لها، يعني سابقًا وشفيعًا، «**وإذا أراد الله بأمةٍ الشر والهلاك، أبقى نبيها حتى يُهلكها، فتقر عينه بهلاكها**»، لما كَذَّبوه وعصوا أمره، فكثير من الأمم السابقة هلكت ونبيها حيٌّ، ولم تهلك أمةٌ نبيها ميتٌ إلا الأمم المرحومة، مثل بني إسرائيل، هلك موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قبلهم، وهارون قبلهم، وغيرهم من المرسلين من بني إسرائيل. **نعم**.

«أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال من أمتي، حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني»

يعني: أخذوا من دوني، ما تركوا دون الحوض ولا يأخذون من النبي ﷺ. نعم.

«فأقول: أي رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

يعني هذا فيمن ارتد عن الإسلام بعد النبي ﷺ، فيه ناس ارتدوا عن الإسلام. **نعم**.

ومن ذلك: المنافقون نفاقًا اعتقاديًّا، كانوا مع النبي ﷺ، ولذلك هم على غير دينه، تظاهروا بدينه وإنما هم منافقون. **نعم**.

ولهما عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا».

الشرح:

وفي رواية: «لم يزالوا مرتدين مذ تركتهم»، نعوذ بالله.

وفي رواية: «لم يزالوا مرتدين منذ تركتهم». **نعم**.

وللبخاري: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ».

الشرح:

مثل همل النعم: يعني ما يخلص ويَرِد على الحوض إلا القليل، نسأل الله العافية، **نعم**.

ولهما من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧].

ولهما عنه مرفوعـًا: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟» ثم قرأ أبو هريرة: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم:٣٠] متفق عليه.

الشرح:

يعني تغيرون فِطَر الناس بالبدع، كما يُغَيَّر خَلْقُهم بالإحداث فيه، جدع الانف، والأذن، وتشويه الوجه، وغير ذلك من الأمور التي يحدثها الناس، والوشم وغيره، والمعنى أنه يحدثون الناس في دين الله.

ولا يصير هذا الحديث: لا يخلص للحوض إلا مثل همل النعم حجةً للرافضة الذين يُكفرون الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فإن الصحابة المعروفون المشهورون ما ارتد منهم أحد ولله الحمد، وإنما ارتد الذين أصلًا في قلوبهم شك، مثل: مسيلمة الكذاب، مثل كعب الذي كان يسمى الراهب ثم سُمِّي الفاسق وارتد عن الإسلام، كان يَكْتُب الوحي للنبي ﷺ، ثم قال: إن محمدًا لا يدري إلا ما كَتَبْتُ له، وأَتْبَاع مُدَّعي النبوة من الكذابين الدجالين، وأتباع أهل البدع من: الجهمية، والروافض، وغيرهم، وأتباع اليهود والنصارى، فإن الأمة كثيرٌ، وكثيرٌ من الناس على بدعٍ وأهواءٍ ومحدثات، كلهم بعد النبي ﷺ، كل من جاء بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة فهو من بعده، وأحدثوا في دينه. **نعم**.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وأنا أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر.

الشرح:

يعني الإسلام.

فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

يعني البدع والمحدثات ودعاة البدع ومدعي النبوة وحكام الجور وعباد السوء، نعم.

قال: «نعم». فقلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن».

فيه خلطٌ، فيه شيءٌ من الحق وشيءٌ من الباطل، ولا يروج الباطل على الناس إلا إذا خُلط بشيءٍ من الحق، ولهذا عاتب الله عَزَّ وَجَلَّ بني إسرائيل، قال ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١]، فكل مُبطِلٍ يَخْلط باطله بشيءٍ من الحق، وأقل شيءٍ الدليل، يعني يأتي بالدليل الحق ويكون وجه الاستدلال به باطل، ولذلك تسمى هذه شبهاتٌ، ليش؟

لأن الدليل حقٌّ والاستدلال باطلٌ، فهو يُشَبِّه على الناس بالدليل فيفتنهم بالاستدلال.

ولذلك المُوَفَّق العاقل الفقيه المسلم الذي على فطرته ولا يحب الهوى، يقول: والله الدليل حقٌّ، لكن وجه استدلالك ما ظَهر لي، ما تبين لي وما أعرفه، ما اتبعك عليه، أرجع إلى أهل العلم، ما يروج عليه ولو عامي. **نعم.**

قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر».

دُعاة السوء، يقولون من خير قول البرية، ويمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية.

قال **ابن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنتم في زمانٍ قليلٌ قُرَّاؤه، كثيرٌ فقهاؤه، وسيأتي على الناس زمانٌ كثيرٌ قُراؤه، قليلٌ فقهاؤه.

وفي بعض الروايات: كثيرٌ خُطباؤه، يعني يُحسنون القول، يُرَوِّجون البدع بين الناس، بسبب البلاغة، وَلَيِّ أعناق النصوص حتى يفهم الجاهل أنها تدل على ما يريدون، فالحذر الحذر. **نعم**.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم فتنة عمياء ودعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».

من هذه الفتن العمياء هذه التي توجد هذه: المظاهرات لإسقاط الحكومات وغيرها؛ لأنها فتنةٌ لإسقاط الولاية بغض النظر عما يترتب بعد ذلك، مِنْ تَفَرُّق الناس، ودخول أهل النفاق، ودخول قطاع الطرق، وتسلط الكفار، وتفرق الأمة، وفساد ذات البين، وأهلاك الحرث والنسل، فهي عمياء، أصحابها عُمْيٌ، يُزيلون نعمتهم بأيديهم، كما كان اليهود بنو النضير، كما قال الله ﷻ ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [الحشر:٢]، فهؤلاء الآن يُخربون بيوتهم بأيديهم، أحدثوا البلاء، وغيروا الحكومات، وما جنوا خيرًا، ما جنوا إلا الشر، حتى صاروا يتمنون الحال التي كانوا فيها من قبل على سوئها، ومع ذلك يريدون من الآخرين أن يتبعوهم على ما هم عليه من الحمق، والغواية، والضلال، والغباء.

ومَثَلُ ذلك: مثل ما هو في مطرٍ شديدٍ، وهو تحت خيمةٍ يستجن بها من المطر، فيقول: أزل خيمتك ونعطيك أخرى! تضمن أن يكون هناك أخرى؟ **نعم**.

قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا».

يعني ما هم جايين من بَرَّه، لا من المجتمع، ممن يزعمون الإصلاح، والتغيير، وحتمية التغيير، هذا شعارهم: الإصلاح وحتمية التغيير، الدستورية، الديمقراطية، كل ما سمعت من

أحدٍ يُنادي بهذه الألفاظ، اعرف أنه من هؤلاء؛ لأنهم جاؤوا بما لا تعرفون أنتم ولا أباؤكم، ولا دل على ذلك الشرع. **نعم**.

قلت: يا رسول الله، ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».

طيب تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، ما عليه ولي الأمر العام وأعيان أهل العلم.

قال: فإن لم يكن لهم إمام لا جماعة؟ قال: «**تعتزل تلك الفِرق، ولو أن تعض على أصل شجرةٍ، حتى يأتيك الموت**»، يعني لا تدخل مع أي فرقةٍ. **نعم**.

قلت: يا رسول الله، ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك». أخرجاه.

يقولون خلاص إمام، أسقطوا ولي الأمر، وبعدين أَلَّفُوا حكومةً وولايةً جديدةً، تُوَافق عليها أطياف المجتمع، الشواذ يعني، الشواذ جنسيًّا، والشواذ عقديًّا، والشواذ عقليًّا، كل دول ممن ينتخبون الولاية، ويوافقون على الدستور، يستفتون في الدستور، هذا يقوله عاقل، يقوله مؤمنٌ بالله واليوم الآخر؟

يعني الأمة تحكم نفسها بنفسها بغير الشرع، وتُرْضَى جميع فِرق المجتمع، يوافق اليهود على ما هم عليه، والنصارى على ما هم عليه، والمشركون على ما هم عليه، وعبدة الشيطان على ما هم عليه، والشواذ على ما هم عليه، هذا الذي يريدون ويسعون وراءه، وهذه الديمقراطية، ويجعلون عندهم دستور يسمونه دستور نظام أقدس من القرآن، ليش؟

لأنه استُفتيت عليه الأمة، خلاص ما تجوز مخالفته، هذا يقوله مؤمن بالله واليوم الآخر؟!

ثم يقولون: لأ، تحكيم الشريعة بعدين، ليش؟ قالوا: الناس ما هم مؤهلين لتحكيم الشريعة.

أمس يُنادون بشرك الحاكمية، أن الحكام ما يُحكمون الشريعة، واليوم هم يقولون: لا ما تُحَكَّم الشريعة، ليش؟ لأن الناس ما هم مؤهلين لتحكيم الشريعة، يحتاج وقت؛ تدرج، طيب إذا مات والناس ما تتدرج، والناس هم غرباء، جايين من الصين، ولا جايين من الغرب، ولا الشرق، ما يعرفون عن الإسلام شيء؟!، هم المسلمون، وأبناء المسلمين، علمهم بالإسلام أكثر من علمكم بما تأتون به أنتم، لكن ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف:٥] ، ومع ذلك يزعمون الإصلاح كما قال الله –تَعَالَى– عن المنافقين ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء:٦٢]، إنما نحن مصلحون، هذا قول المنافقين.

وهذا دليلٌ على نفاقهم وأنهم عندهم نفاقٌ اعتقاديٌّ، أكبر من العملي، فهم دعاةٌ على أبواب جهنم، كما أخبر النبي ﷺ، الآن يدعون الناس إلى جهنم الدنيا: إلى الشقاء، والخلاف، والفرقة، والقتل، والقتال، وانتهاك الحرمات، وإهدار الثروات، وبعدين إلى نار جهنم، أشد حرًّا لو كانوا يفقهون. **نعم**.

وزاد مسلم: ثم ماذا؟ قال: «ثم يخرج الدجال معه نهرٌ ونارٌ، فمن وقع في ناره وجب أجره وحُطَّ عنه وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره».

فهم دجالون قُبيل الدجال، هم مقدمةٌ للدجال، الدجال يَدَّعي أول ما يدعي الإصلاح، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الإلهية، فهم يدعون الإصلاح هالحين، ما ندري ويش يصير.

المختار ابن أبي عُبيدٍ الذي خرج في آخر عصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ادعى أول شيءٍ الإصلاح، والانتصار لأهل البيت؛ للحسين، ثم بعد ذلك ادعى أنه يُوحى إليه، قالوا لابن عمر: إن المختار ابن أبي عبيد يزعم أنه يُوحى إليه، ولابن عباس، قال: صَدَقَ، شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، توحي إليه الشياطين، يعني ادعى النبوة.

والدجال كذلك، يدعي الإصلاح أول شيءٍ، حتى يجمع الجماهير، ثم يدعي النبوة القُدْسِيَّة، ثم يدعي الإلهية، فإذا ادعى الإلهية مُسِحَت عينه، قد يكون أول ما يطلع يُفتنون به الناس. **نعم**.

قلت ثم ماذا؟ قال: «هي قيام الساعة».

وقال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تتحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا.

يعني الصراط المستقيم فُسِّر من السلف بعدة تفسيرات:

أنه القرآن العظيم، وأنه الرسول الكريم ﷺ، وأنه الإسلام، ولا منافاة بين ذلك؛ فإن الرسول ﷺ هو الذي جاء بالقرآن ودعا إليه، وهو الذي عَمِل به وطبقه، وبَيَّنه وفَسَّره، وما جاء في القرآن وسنة الرسول ﷺ هو الإسلام، فهذا هو الصراط المستقيم، من سلكه في الدنيا، سلكه في الآخرة ونجا من النار، نسأل الله النجاة من النار، ومن انحرف عنه في الدنيا انحرف به يوم القيامة على النار. **نعم**.

وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تتحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء. انتهى.

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت:٣٠]، قال: لم يروغوا روغان الثعالب.

فاستقاموا على الشريعة على الدين، فلم يَرُوغوا روغان الثعالب.

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا خِيرة الله من خلقه، استقام على دين الله ودعا الناس إلى الاستقامة عليه. نعم.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

نعم.

تأمل كلام أبي العالية هذا ما أَجَلَّه، واعْرِف زمانه الذي يُحذِّر فيه من الأهواء التي من اتَّبعها فقد رغب عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسنة، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السنة والكتاب، يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [البقرة:١٣١]، وقوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠] .

الشرح:

فملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمران:

أن تعبد الله مخلصا له الدين، وأن تبرأ من الشرك والمشركين.

وكمال ذلك أن تدعو إلى ما هداك الله له إلى الحق المبين، الله عَزَّ وَجَلَّ قال لإبراهيم: أسلم، يعني استسلم وانقد لي بعبادتي، راغبًا راهبًا، فاستسلم وانقاد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠]، كان إمامًا يُؤْتَمُّ به في كل خيرٍ، وكان على الحق وحده في زمنٍ لم يكن على الحق فيه سواه، ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ قانتًا لرب العالمين، لا للملوك والمُتْرفين، ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا على طريق الاستقامة قصدًا عن طريق الشرك والغواية والضلالة، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كان مباينًا للشرك والمشركين وشركهم، بأقواله وأفعاله وأحواله، مُفارقًا لهم، مُنْفَصِلًا عنهم، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٨] ، ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

هذه ملة إبراهيم، هذه الملة الإبراهيمية، وهي الطريقة المرضية، فلذلك قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:١٣١]، يعني استسلم وانقاد لله -تَعَالَى- اختيارًا، وثَبَتَ على ذلك حتى لقي الله ﷻ، وجاهد في ذلك، حتى تقرب[1] من أقرب الناس إليه، ممن خالفه على طريقته، ولم يكتف بهذا، بل دعا إلى هذا، وصبر وتحمل حتى أُلْقِي في النار من أجل ذلك، وحتى أطاع الله ﷻ فيما أراه في المنام من ذَبْح ابنه، لم تأخذه العاطفة أبدًا؛ لأن رؤيا الأنبياء وحيٌّ وشرعٌ، فابتلاه الله ﷻ قال: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الصافات: ١٠٥ - ١٠٦]، فنجح في الابتلاء، ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة:١٢٤] ، فهذا جزاءه، فما بعث الله رسولًا ولا أنزل كتابًا بعده، إلا في ذريته عَلَيْهِ السَّلَامُ، مكافأةً له، وجعله إمامًا للحُنفاء من بعده، إلى أن يأتي – سبحانه – بأمره.

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النحل:١٢٢] ، فإبراهيم وصى بذلك بنيه، ﴿ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢] ، بالتوحيد والسنة، فوصاهم بذلك وتعاهدهم حتى آخر لحظة، واطمئن، أَرَاهُ اللهُ ﷻ منهم ما قرت به عينه من صلاحهم وتقواهم، فأبناءه: إسماعيل رسولٌ نبيٌّ، وإسحاق نبيٌّ، وأَتْبَاعُهم وذرياتهم، كلهم على التوحيد وعلى السنة، كذلك يعقوب بعد إسحاق، وهو حفيد إبراهيم، وذريته اثنا عشر، كذلك تعاهدهم بالتوحيد، والامتحان عليه، حتى عند الموت، ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾ امتحان ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٣]، فمات

---

١ – كذا في المصدر الصوتي، والصواب: تبرأ.

قرير العين، أن ذريته على شرعته، وعلى ملته، ومنهاجه، وهذا جزاء الدُّعاة المخلصين، فمن أحسن ابتغاء وجه الله، أحسن الله إليه، هذه مهمة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠] ، لا أحد يرغب عن ملة إبراهيم وطريقته وملته التي كان عليها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ إلا سفيه، فكيف وقد أدى وأَكَّد ملةَ إبراهيم محمدٌ ﷺ، خاتم النبيين، وأكمل الخليلين، ورسول رب العالمين، وأَوَّلُ أُولو العزم المكرمين، وأعظم شفيع بين يدي رب العالمين يوم القيامة، من يرغب عن ملة محمدٍ إلا من سفه نفسه، أشد سفهًا، ولذا قال ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**». **نعم**.

وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة، وبمعرفته يتبين معني الأحاديث في هذا الباب وأمثالها، وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمنٌ مُطمئنٌ أنها لا تناله ويظنها في قومٍ كانوا فبادوا.

الشرح:

هذا من الوعيد لمن انحرف عن الملة الإبراهيمية والشرعة المحمدية، يظن أنه ما عليها؛ متوهمٌ وضالٌ، منحرفٌ غافلٌ، الغفلة المستحكمة المهلكة في الدنيا والآخرة. **نعم**.

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٩].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال:« هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣]. رواه أحمد، والنسائي.

الشرح:

يعني البدع، والأهواء، والكبائر، فإنها تجر الناس إلى الكفر والشرك.

فالمعاصي بريد الكفر، والبدع بريد الشرك، فمن أَصَرَّ على المعاصي قادته إلى الكفر والعياذ بالله، إلا أن يتلطف الله به ويرحمه، بدعوةٍ صالحةٍ، أو إحسانٍ إلى مستحقٍّ، أو أن يتفضل عليه – سبحانه – برحمته، والبدع بريد الشرك، فمن وقع في البدع وقع في الشرك؛ لأنه يجعل نفسه بمنزلة الله عز وجل، يُشَرِّع، يبتدع شيئًا بأن يُحدث شيئًا ويلتزمه، ويهجر شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، ويتركه، فهذه قاعدةٌ تُفْهم: أن البدع بريد الشرك؛ لأنها استحسانٌ واستهواء، والمعاصي بريد الكفر، بريد الجُحود والتجبر على الله عَزَّوَجَلَّ، فالمُشْرك يَدَّعي أنه في

ذلك محسنٌ، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ، يقولون المشركون: عاصين؛ لسنا أهلًا أن نسأل الله مواجهةً، يعني: بدون واسطة، لسنا أهلًا، نحن أحقر وأقل من كذا، فلذلك نجعل بيننا وبين الله شفعاء من الصالحين، من أولياء الله، فتواضعوا وهضموا أنفسهم، واستحسنوا الشرك وما أملاه عليهم الشيطان، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، هؤلاء شفعائنا عند الله.

واما الكفرة المتجبرون فلأ، ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥]، ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ [الجاثية:٢٤]} (الجاثية ٢٤).

وكلا الطائفتين يعلمون الحق، لكن تركوه وتظاهروا بخلافه، فالكافر مشركٌ، والمشرك كافرٌ، كيف؟

الكافر اتخذ إلهه هواه، فهو مشركٌ في الباطن كافرٌ في الظاهر.

المشرك كافرٌ لأنه اتخذ وسائط بينه وبين الله، وجحد بما أوجب الله عليه من التوحيد.

فالمشرك أظهر الشرك وأبطن الكفر، والكافر أظهر الكفر وأبطن الشرك.

ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] ، فالأول يدعو والأخير كافر، كلهم، فهذا مشركٌ كافرٌ وهذا كافرٌ مشركٌ. نعم.

باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء

وقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود:١١٦] الآية.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء». رواه مسلم.

ورواه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه: ومن الغرباء؟ قال: «النزاع من القبائل والذين يصلحون إذ فسد الناس». رواه أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص، وفيه: «فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس».

وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده: «فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي».

وعن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥]، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا.

الشرح:

يعني نفسه، يقول: أنا خبيرٌ؛ لأني استفتيت النبي ﷺ فيها. نعم.

سألت رسول الله ﷺ، فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا وهوىً متبعًا، ودنيا مُؤْثَرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيامًا الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم» قلنا: منا أم منهم؟ قال: «بل منكم». رواه أبو داود والترمذي.

والمعنى أنه في آخر الزمان يتقلص الإسلام الحق، الموافق للنصوص وما عليه السلف الصالح، فلا يكون عليه إلا القليل من الناس، نُزَّاع من القبائل، والكثرة تَدَّعي الإسلام وتخالفه، فيصير أهل الحق غرباء في من ينتسب للإسلام.

ولذلك قال بعض السلف: أما إن أهل الإسلام لا يقلون، بل يكثرون، ولكن أهل السنة يقلون.

فالمراد هنا: أهل السنة، الطائفة المنصورة، الذين اجتمعوا على سنة رسول الله ﷺ، وعلى ولي الأمر بالحق، فهؤلاء هم الغرباء هم أهل السنة، غرباء في زمانهم؛ لأنه هُجِرَ كثيرٌ من الإسلام، حتى صار من يستقيم على السنة ويظهر السنة منبوذًا مُحتَقَرًا بين الناس ممن يدعي الإسلام.

تقول للناس: هذا فلانٌ خريج كلية الحديث، خريج كلية الشريعة، هذا من تلاميذ الشيخ فلان بن فلان، ما يرفعون به رأسهم، تقول: هذا فلان دكتور في القانون الدولي، هذا دَارسٌ في كذا وكذا، معه مؤهل كذا، يرفعون الرأس، ويُعْجِبهم، ويغبطون والده، ويَغبطونه، ويرون أنه كأنه قد جنى الدنيا والآخرة جميعها، هذا من غربة الدين.

تقول: هذا حَفِظ القرآن، وتعلم على أيدي أهل العلم في المساجد، ما يرونه شيئًا، وتقول: هذا معه المؤهلات الفلانية، وحَصَّل كذا، حتى لو قلت: هذا لاعب رياضي، يمجدونه ويعظمونه، هذا: الأغنياء والأمراء والعوام والشباب والنساء يعظمونه، لكن حافظ القرآن، والمستقيم على السنة، لأ؛ منبوذٌ، أحسن ما يقال عليه: هذا مغفلٌ مسكينٌ، هذا مُتعنِّت، هذه الغربة، وهذه غربة الدين، الذي يحافظ على صلاة الفجر كذلك، ما هو عند الناس شيء، والذي ما يصلي الفجر تجده عند الناس شيء.

تجد الأم الآن تُعَظِّم عيالها، واحدٌ ما يصلي الفجر مُعَظَّم، محترمٌ، والآخر يصلي الفجر لأ مهين مسكين وصُحَيِّح، وكذا، فتنة، فهذا من غربة الدين.

ومن إقبال الدين: أن تدخل قبيلةٌ بأكملها فيها حتى ما يكون فيها إلا المنافق أو المنافقان، فهما منبوذان محتقران، ومن إدبار الدين: أن تَرْتَدَّ القبيلة حتى لا يكون فيها إلا المسلم أو المسلمان فهما منبوذان محتقران، وما أشبه الليلة بالبارحة. **نعم**.

وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر ولفظه: «إنَّ مِنْ بعدكم أيامًا للصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم».

الشرح:

يعني ما عليه السلف الصالح، ما عليه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ من الاعتقاد والقول والعمل والحال، نعم.

المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم، له أجر خمسين منكم». قيل: يا رسول الله منهم؟ قال: «بل منكم».

يعني له مثل أجرهم، لكن هم يفوقون بالصحبة، وأنهم من خير القرون، مهما كان يعني، لكن له مثل الأجر، كثيرٌ أجره لاستقامته، وهو أيضًا له فضيلة أنه آمن بالنبي ﷺ، واتبعه، وثَبَتَ على دينه، وهو لم ير النبي ﷺ، هذا من فضل الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ﷺ: «وددت أننا رأينا إخواننا»، قالوا: يا رسول الله، أولسنا إخوانك؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواني قوم يأتوا من بعدي يؤمنوا بي، ولم يروني».

الله يجعلنا وإياكم من إخوانه.

فالصحبة انتهت خلاص، فهي خاصة بالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، بقيت الأخوة، أُخوة النبي ﷺ، فالله يجعلنا وإياكم من إخوانه. **نعم**.

ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد، أنبأنا أسد، قال سفيان بن عيينة: عن أسلم البصري، عن سعيد أخي الحسن يرفعه قلت لسفيان عن النبي ﷺ قال: قال: نعم، قال: «إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله، ولم يظهر فيكم السكرتان».

الشرح:

والمعنى أن الكلام هذا الذي قاله السلف، أبو ثعلبة من الصحابة مروي عن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، خطب الناس حين استخلف، قال: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة:١٠٥]، وتتأولونها على غير تأويلها، تفسرونها وتفهمونها على غير تفسيرها، يعني أنكم استقيموا على الدين الذي تفهمون أنتم معنى الآية أن استقيموا أنتم على الدين وعلى الطاعة، ولا عليكم بمن ضل، يعني لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، وهذا خطأٌ، هذا فهم خاطئٌ؛ فمعنى الآية أنكم إذا استقمتم على دينكم -ومن الاستقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-، فلا يضركم من ضل إذا اهتديتم، يعني إذا استقمتم، إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر.

فمن الاهتداء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الخاص والعام.

أهل السنة والجماعة يأمرون بكل معروفٍ ويفعلونه، وينهون عن كل منكر ويجتنبونه، بحسب الحال.

فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم استقيموا وجاهدوا أنفسكم على الاستقامة، ومُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وانصحوا لأئمة المسلمين وعامتهم، فإذا فعلتم ذلك لا يضركم ضلال من ضل، مَنْ تَرَك المعروف أو فَعَل المنكر، لا يضركم، يفعله يجني على

نفسه، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إذا استقمتم عن علمٍ، وثَبَتْم، ودعوتم، ونصحتم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم.

طيب الحديث يقول أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه»، يعني إذا ظهر المنكر غيروه بما تستطيعون، وأقل الأحوال أنكم تُبغضونه وتُبغضون صاحبه، وتهجرونه وتهجرون صاحبه وتهجرون المكان، هذا أقل الأحوال، أما إذا قدرتم على الأمر والنهي ولم تفعلوا، فأنتم ضالون، غير مهتدين، وهذا إلى غاية، إلى زمنٍ متأخرٍ في الأمة، أمارته ماذا؟ «إذا رأيت شحًّا مطاعًا، بخيل وهو غني ومدفوع، شحًّا مطاعًا، وهوىً متبعًا»، هوى مخالف للحق ومتبعًا صاحبه، «ودنيًا مؤثرةً»، تكالب على الدنيا، حتى تُتْرك بعض الواجبات، أو تُفْعل بعض المحرمات، فهذا الأوان: «الزم نفسك»، ولا عليك من الناس.

وفي الحديث الاخر: «بادروا بالأعمال الستة»، وذكر منها: «إمرة الصبيان»، ولاية صغار السن، الذين لا يحسنون، ومنها «كثرة الشُّرط»، والشُّرط أعوان الظلمة، ومنها «بيع الحُكْم»، الرشوة للحكام والمسؤولين للإدارات، ومنها «ظهور الربا»، تَبَقَّى اثنتان.

والمقصود إذا رأيت الست دي، ما عليك من الناس، ليش؟

لأنه في الغالب خلطتك بالناس تضرك، ليه تضرك؟

لأنهم يوردون عليك الشبهات، وأنت ما عندك علمٌ يكفي، أو يُغرونك بالشهوات، وأنت ما عندك ورعٌ يكفي، فلا تخالط الناس والحال هذه إلا إذا كان عندك علمٌ تدفع به الشبهات، وورعٌ تدفع به الشهوات، فاعتزل الناس، الزم بيتك ومسجدك، وخاصتك من أهل العلم ومن أهل الخير، الذين ما لهم انتسابٌ إلى أحزاب وجماعات، حتى ما يُشبهون عليك، فمن لهم

انتساب على جماعات وأحزاب يُشبهون عليك، يوردون عليك الشُّبه، فاحذر خلطة هؤلاء، عرفنا. **نعم.**

قال: «إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله، ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش...»

نعم الدنيا، والهوى: اتباع الهوى، وحب الدنيا، وهذه هي التي تجمع الفتن كلها في آخر الزمان، ما تجد أحدًا يقع في هذه الفتن إلا لهذين الغرضين. **نعم.**

يعني من أحب أن يتبع الهوى تَرَك الهدى، ومن آثر الدنيا رَخُصَت عليه وأعرض عن الأخرى، **نعم.**

«وستَحَوَّلون عن ذلك، فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر ولا تجاهدون في الله وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين». قيل: منهم؟ قال: «بل منكم».

تصور الآن واحد على السنة في العراق، في الشام، في مصر، الدول الأخرى، باكستان، في إيران، تجده غريبًا جدًّا، غريب فعلًا، لأنه يجد من يستأنس له، ولا يجد من يَنْصُره، وهذه الغربة الحقيقية. **نعم.**

وله بإسنادٍ عن المعافري قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى للغرباء، الذين يتمسكون بالكتاب حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ».

الكتاب يستبدل بالدستور، والسنة تستبدل بالآراء، والاستحسان، واجتهادات، والديمقراطية، وغيرها. **نعم.**

باب التحذير من البدع

عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبدٌ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا»،

الشرح:

يعني هذه الموعظة في آخر حياة النبي ﷺ، يعني فيما بعد التاسعة، يعني حين ظهر الدين، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وانحسر الكفر والشرك، فتَمَّت مهمة النبي ﷺ في البلاغ والبيان، وأوشك أن يلقى ربه، فوعظ موعظةً بليغةً رقت القلوب، ففهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنها موعظة مودعٍ، فقالوا أوصنا، يعني: خصنا بشيءٍ، النبي ﷺ وصى بالكتاب والسنة جملةً، لكن هم يقولون خُصَّنا يعني بشيءٍ من المهمات التي ستظهر مخالَفَتُها قبل الأمور الأخرى، واضح. ولذلك قال: «**عليكم بالسمع والطاعة**» لولاة الأمر بالمعروف، يعني هذه من أعظم وأبلغ الوصايا النبوية، وكلها بليغة وعظيمة.

ولذلك خرجت الخارجة على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أول شيءٍ صار، أول شيء صار الخروج على السُّنة أول شيء، يوم قال التميمي: اعدل يا رسول الله، فإنك لم تعدل، والآخر قال: إنها قسمةٌ ما أريد بها وجه الله، في قسمة غنائم حنين، فأول الخروج على السنة، ومن خرج عن السنة خرج على ولي الامر.

ولذلك الخوارج هم أول من خرج على ولي الامر، ولا لأ، بعد أن خرجوا على السنة.

ولذلك عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أُبْلِغ أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جاءت من الحجاز إلى العراق، ومعها طلحة والزبير وفلان وفلان تُطالب بدم عثمان، أرسل عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يخطب في الكوفة، أو بالبصرة، يقول: والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة؛ عائشة، ولكن الله ابتلاكم بها،

أتطيعونها أم تطيعوا الرسول ﷺ، يعني تطيعونها بما يؤدي إلى الخروج على الولاية، أو تطيعون الرسول ﷺ وتتبعون الولاية؟ وهو ولي الأمر العام، ولذلك ما نجحت المهمة، فانظر كيف، مع أنه باجتهادٍ وحُسْنِ قصدٍ، لكنه مخالف للسنة.

فشوف كيف النبي ﷺ ربط بين الأمرين: الخروج على السنة والخروج على الولاية، اسمعوا وأطيعوا، قال: لمن؟ لصناديد العرب؛ قريش، رؤوس الأنصار: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، «**وإن تَأَمَّر عليكم عبدٌ، كأن رأسه الزبيب**»، اسمع وأطع، لما في الاجتماع من المصلحة، ولما في الخلاف والفرقة من الشر والفتنة، هذا أشق ما يكون عليهم، هم ما يطيعون شيخ القبيلة حتى يطيعون الآخر، كانوا يتعبدون ويتدينون بالتَّفَرُّق، وكل قبيلةٍ لها شيخها، حتى جمعهم الله بالإسلام، فكيف يطيعون عبد؟

ومع ذلك النبي ﷺ ألزمهم وأصر عليهم.

قال عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **بايعنا الرسول ﷺ على السمع والطاعة لولي الأمر بالمعروف، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرةٍ علينا، وعلى ألا ننازعه، حتى ترى كفرًا بواحًا**، فُسِّر هذا بترك الصلاة، ما يدل على أن ترك الصلاة كفر.

ومع ذلك دلت النصوص الأخرى على القدرة، لو كفر ما يُخْرَج عليه إلا بالقدرة وتكون المصلحة راجحة، فإذا كانت المفسدة راجحة فلا يجوز بحال، ولو أفتى من أفتى؛ لأن من قواعد الشريعة أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح. **نعم**.

«**وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**».

يعني لا تغتروا بالمخالفين والمختلفين، لا تغتروا بهم، ولا تتبعوهم، الزموا الحق، عليكم بالسنة، سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده. **نعم**.

«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عيها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور»،

احذروا محدثات الأمور، جانبوها واجتنبوها وأهلها. **نعم**.

فإن كل بدعة ضلالة» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

في الحديث: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، **نعم**.

وعن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمدٍ فلا تعبدوها.

الشرح:

لأن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ حضروا التنزيل الكريم، وشاهدوا الرسول ﷺ، ونزل الوحي بلغتهم، وتكلم النبي ﷺ بلسانهم، فما فَهِمُوه عملوا به، وما لم يفهموه راجعوا النبي ﷺ فيه، حتى تبين لهم وجه الصواب، وعملوا بدين الله عَزَّوَجَلَّ على أكمل وجهٍ، على الوجه الذي رضيه الله عَزَّوَجَلَّ، فرضي عنهم وأرضاهم، وأَثْبَتَ ذلك في كتابه وهم يمشون على الأرض أحياء، والنبي ﷺ بين ظهرانيهم، فهم أعلم الأمة بمراد الله -تَعَالَى- بكلامه، ومراد النبي ﷺ بسنته، أعلم الأمة، وهم الذين عَمِلُوا بدين الله كله على أكمل وجه، فهم المرجع في فهم نصوص الكتاب والسنة، وما أشكل على الناس من ذلك، ولذلك هم خير القرون، وهم أفضل أتباع الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام -، رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ؛ فهم الحجة. **نعم.**

قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم، رواه أبو داود.

وقال الدارمي: أخبرنا الحكم بن المبارك، أنبأنا عمرو بن يحيى، قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة،

الشرح:

وهو قاضي بالكوفة، والأمير من هو؟ أبو موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. **نعم**.

قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أَخَرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج.

فهؤلاء أعيان طلبة العلم، وهذا الأمير، جايين تال الليل يقفون على باب عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ينتظرونه يخرج، حتى يسمعون منه كلامًا، في بيان القرآن وبيان السنة، أو يسألونه سؤالًا يُجيبهم عليه، شوف العناية والهمة كيف؟ مَنْ أبو موسى الأشعري؟ من خواص الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، لكن شهرته في تلاوة القرآن، وابن مسعود في الفقه، كُنَيِّفٌ (وعاء) مُلِئ علمًا. **نعم**.

فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرا، قال: فما هو؟

يعني أمرًا محدثًا، تَدَيُّنٌ جديدٌ محدثٌ.

طيب أبو موسى هو الأمير ولا لأ؟

أي نعم، ومن الصحابة، من خواص الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في العلم، وفي تلاوة القرآن، ومع ذلك ما سطرهم، وقَوَّمَهم، وفَرَّقهم، لأ، رَاجَع إلى المختص في العلم والفتيا؛ ابن مسعود، وهو الأمير، لكنه مُنفذٌ، وهذا هو الذي يفتي، يقول: يلا أفتنا في هؤلاء، ويش أسوي فيهم؟.

نعم.

فقال: إن عشت فستراه.

يعني نمشي شوي وتلقاهم، على الحالة نفسها. نعم.

قال: رأيت في المسجد قوما حِلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول

طول الليل جالسين يتعبدون بالبدع، تال الليل، في أيديهم حصى. **نعم.**

وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة،

طيب، ويش المُحْدَث في هذا؟، ما هي أم المؤمنين جويرية معها نواة تسبح بها، وأبو هريرة عنده محفر زِمبيل وحصى، أربعة آلاف حصاة يُسبح بها، ويش المحدث؟

المحدث هذا اختراع، يقول: سبحوا مائة، فيتبعونه على هذا، هل في النصوص تسبيح مائة آخر الليل، سبح ما شئت، هل في النصوص أنكم تلتزموا أنت وهذا وهذا كلكم بالمائة، تتبعون اللي ينادي به، لأ؛ هذه بدعة؛ طريقة جديدة، كل يُسبح ويهلل ويكبر ويحمد ما يسر الله له، لكن هذا الالتزام الجماعي هذا البدعة؛ لأنه زيادةٌ في الشرع، وغُلُوٌّ في الشرع، استحسان في الشرع، واتباع من استحسن، موافقته استحسانه، هنا المَكْمَن هنا، واضح.

أبو موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ممكن يقول: جزاكم الله خير على التسبيح، أنكم تسبحون وتحمدون آخر الليل، طيب هذا، لكن هذه الطريقة دي: يقول افعلوا هذا الرقم والعدد، ثم ينفذونه، ثم يقول: افعلوا كذا، ثم ينفذون، هذه هي الجديدة، فلذلك لم يَجْزِم على رأيهم، حتى يستأنس لهذا، يعرف السنة، ويعرف أن هذا محدثٌ، لكن يريد أن يستأنس برأيٍ آخر يُقَوِّي رأيه. **نعم.**

فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا.

طيب هؤلاء، نرجع إلى أول شيء، هؤلاء خرجوا على السنة ولا ما خرجوا؟

خرجوا؛ زادوا على السنة، هذا المنهج، هذا اللي يقول: سبحوا كذا، فينفذون، ثم يقول: احمدوا كذا، وينفذون، هذه طريقتهم، جعلوا لهم إمامًا غير الرسول ﷺ، فهم خرجوا على السنة، ويش يترتب على هذا؟

الخروج على ولي الأمر. يلا كَمَّل...

قال: ما قلت لهم شيئا، أنتظر رأيك أو أنتظر أمرك قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع.

ليش يعدون الحسنات؟

الحسنات الله يعلمها، يسبحون ما كَتَبَ الله لهم، ولا يلتزمون عددًا معينًا إلا ما جاء به النص، تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وهو على كل شيء قدير مائة مرة أول النهار، الصباح، سبحان الله وبحمده مائة مرة، تكون من الكلمات كل ذكر مائة مرة من كل واحدة، تستغفر سبعين مرة مائة مرة، كما جاء في السنة، لكن هذه الطريقة؛ لا، فهم خرجوا على السنة. **نعم.**

أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟

وقف عليهم؛ الشيخ القاضي المفتي كُنَيِّفٌ مُلِئ علمًا، صاحب سنةٍ وغيرةٍ، ما قال: جزاكم الله خير مجتمعين على الذكر، الحمد لله مُتحلقين تذكرون الله!، ما قال هذا، ولا قال: أَذْكُرُ حسناتهم أول شيءٍ، يعني حتى هم يسمعون كلامي، اللي جاء من أهل البدع، لا، ثلاث كلمات قالها لهم.

قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم.

يا سلام، عدوا سيئاتكم، هذه كلها سيئات، تَذْكُرُون الله بسيئةٍ، بطريقةٍ سيئةٍ، فأنتم مبتدعةٌ الآن، أحدثتم في الذكر، ابتدعتم، فهذه ضلالةٌ، طريقتكم في الذكر هذه ضلالة. **نعم**.

قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم رسول الله ﷺ متوافرون.

يعني يا معشر التابعين، الصحابة بين ظهريكم، وأنتم تتركونهم وتتبعون واحدًا ما هو من الصحابة، هذا ما هو من الصحابة الذي يقول عدوا. **نعم**.

وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر.

يعني لقُرْبِ العهد بالنبي ﷺ؛ لأنه هذا كله قبل خمس وثلاثين؛ لأن ابن مسعود توفي في هذه المدة، ثلاثة وثلاثين. **نعم**.

والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد.

يعني أنتم بين أمرين، ما في ثالث:

إما أنكم على ملة؛ على طريقةٍ أهدى من طريقة النبي ﷺ.

وإما أنتم على ضلالة.

يعني بكل حال لستم على سنة، فأنتم: إما أنكم أهدى من النبي ﷺ وطريقته، وإما أنكم على ضلالة ما فيه ثالث.

إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال: وكم من مريدٍ للخير لن يُصيبه.

أي؛ إرادة الخير ما تكفي، طيبة هي إرادة الخير لكن ما تكفي، تريد الخير على وفق الشريعة، ما هو على الهوى والاستحسان، لا على الشريعة والسنة.

طيب: وفي روايةٍ قال: والله لا أدري أفقتم أصحاب محمد ﷺ علمًا، أم جئتم ببدعةٍ ظَلْما؟ يعني أحد أمرين، ما فيه ثالث، ومعلومٌ أنهم لم يفوقوا أصحاب النبي ﷺ، إذًا ما هم عليه على بدعة ظلما؛ مظلمة. **نعم**.

إن رسول الله ﷺ حدثنا

اسمع، اسمع، حدثنا عن الخوارج، أول خروج على السنة، نعم.

أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم.

فقال: عمرو بن سلمة رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج.

يقاتلون عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إمام المسلمين، [يقولون]: كفرت، حكمت الرجال في كتاب الله، هؤلاء الذين يتنسكون ويتعبدون، صاروا يقاتلون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خارجين على ولي الأمر، مُكَفِّرين لولي الأمر وللصحابة.

انظر شؤم البدعة كيف؟، وانظر أن أول الخروج الخروج على السنة، ثم الخروج على الولاية، ما فيه مناص فيه أبدًا، إما أن ترجع إلى السنة، وإما أنك خارج على الولاية. **نعم**.

هذا آخر ما تيسر، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشرح:

خذ هذا هالحين تجد أن التبليغ مفرخة الخوارج، اجتماع الناس حق التبليغ هنا في المساجد هو الذي يطلع على الخوارج؛ لأن واحد يصحبهم ما شاء الله، إما أن يدخل في ظلماتهم وجهلهم وشِركهم، يستحسن الشرك الأكبر، ويَمُرُّ بالأضرحة ويتمسح بها، أو يُقِرُّ أهلها على ما هم عليه من الشرك الأكبر، ولا يخرج فيصير خارج على الولاية، على طول، ما فيه ولا تجد وسطًا، قل من يخرج منهم إلى السنة.

فتجد أن التصوف على غير الشريعة، والتزهد والتعبد هو المِحْضنة اللي تبيض فيها البدع وتفرخ، تفقس وتفرخ، تظهر الخوارج.

والغلو هو سبب الخروج والكفر دائمًا.

وهذا يبين لك خطر التعبد على غير الشريعة وعلى غير السنة، وأنك لا تغتر بما رأيته كذلك، ترى في قلبه من السواد والظلمة ما هو أسود من الليل، ويكفي رغبته عن السنة، واستحسانه للبدعة: في طريقة الذكر، في الصلاة، في كذا في كذا، فمن خرج على السنة ولا ترجو منه خيرًا، إلا أن يهديه الله رغم أنفه بدعوةٍ والدٍ صالحٍ، أو احسانٍ إلى مستحقه، أو نحو ذلك، أو نصرة مظلوم، وإلا فالأصل أنه لا يخرج من ضلالةٍ إلا إلى شَرٍّ منها، وإلا عَرَفْنَاهُم من أربعين سنة، يخرجون من التبليغ ويصيرون خوارج، والإخوان المسلمين وأمثالهم، والتكفير والهجرة، والله رأيناهم تركوا الدراسة في المعهد العلمي واشتغلوا ببيع التمر والطيب، وما درينا إلا بعد عشر سنوات وإلا هم من أهل التكفير والتفجير، أَعْرِفُهم بأسمائهم، أنا أعرفهم بأسمائهم، فتزهدوا وتعبدوا على غير الشرع، وتركوا طريق العلم،

واحتقروا الدراسة في المعاهد وعلى المشايخ، وأخيرًا صاروا خوارج مكفرين، نسأل الله العافية والسلامة.

فلذلك الإنسان يلزم الكتاب والسنة، ويتعرف على ما كان عليه السلف الصالح من الأمة، وهذا موجود في عقائد أهل السنة والجماعة، في جميع الأمور: الأمور العلمية الاعتقادية، والقولية، والعملية، والحالية، والتعاملية، وهذ كله مجموعٌ في العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله عليه ، وما شابهها من العقائد التي كتبها أهل السنة والجماعة.

رزقنا الله جميعًا العلم النافع، والعمل الصالح، وتاب علينا من جميع القبائح، وجعلنا من أهل المتجر الرابح. والله اعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

الفهرس

المجلس الأول ١

باب فضل الإسلام ١

باب وُجُوبِ الدُّخُولِ في الإسلام ١٧

باب تفسير الإسلام ٣٥

المجلس الثاني ٤١

باب قول الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} ٤١

باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه ٤٩

باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام ٥١

باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه ٦٨

المجلس الثالث ٧٤

باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر ٧٤

باب ما جاء أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة ٨٢

باب: قول الله تعالى: {يَا أهل الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ } (آل عمران ٦٧)..... ٨٦

باب قول الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} ٨٩

باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء ١٠٨

باب التحذير من البدع ١١٥